محمد بن عبد الله الطاهري ودوره في حرب المستعين والمعتز

Muhammad ibn Abdullah al-Tahiri and his role in the war between al-Musta'in and al-Mu'tazz

م. حارث جبار عبد

جامعة ميسان / كلية التربية

Teacher / Harth Jabbar Abd

Maysan University / College of Education

alyassriy_harth@uomisan.edu.iq

محمد بن عبد الله الطاهري ودوره في حرب المستعين والمعتز

م. حارث جبار عبد

الملخص:

تطرق هذا البحث الى مسألتين ضروريتين الأولى: الاسرة الطاهرية التي يعود لها أصل الأمير محمد بن عبد الله الطاهري، والثانية: بدايات التواجد التركي في المنظومة العسكرية العباسية، مرورا بمرحلة الفوضى التي أحدثها قادة الاتراك في سامراء، والتي أدت الى نشوب الحرب الاهلية العباسية الثانية التي وقعت بين المستعين (٢٤٨-٢٥٢ هـ) والمعتز (٢٥٢-٢٥٥ هـ). ثم استعراض البحث الدور الريادي للأمير محمد الطاهري خلال هذه الحرب، فقد وقف الأمير الطاهري الى جانب المستعين فيها، بعد ان كلفه الأخير بإدارة ملف الحرب وتدبير شؤون أهالي بغداد. توزع دور الأمير محمد الطاهري الى قسمين، الأول: متعلق بإعلان حالة التعبئة العامة في بغداد والاقاليم المرتبط بها، من تجنيد أكبر قد ممكن من الرجال وتهيئتهم للقتال، وتأمين اسوار المدينة، واعداد الخطط المناسبة للعمليات القتالية. واما الثاني: فتجسد بدور الأمير الطاهري المؤثر في صياغة بنود الصلح، بعدما اتخاذ قراره بإيقاف الحرب في الوقت المناسب، وحينما أدرك انه لا طائل من مناصرة المستعين، فظلا عن عدم قدرت أهالي بغداد على مواصلة القتال تحت وطأة الحصار الجائر.

الكلمات المفتاحية:

الدولة العباسية، نفوذ القادة الترك، الأمير محمد الطاهري، الحرب على السلطة

Abstract:

This research deals with two essential issues : the first one is the Tahirid family to which the origin of Prince Muhammad bin Abdullah al-Tahiri goes back, and the second one is the beginnings of the Turkish presence in the Abbasid military system as well as the period of chaos caused by the Turkish leaders in Samarra and which led to the outbreak of the second Abbasid civil war between Al-Musta'in (248-252 AH) and Al-Mu'tazz (252-256 AH). The research then

reviews the pioneering role of Prince Muhammad al-Tahiri during this war in which the al-Tahiri prince stood with Al-Musta'in after the latter entrusted him with managing the war file and administering the Baghdadi people affairs.The Prince Muhammad al-Tahiri's role was divided into two parts. The first was related to declaring a state of general mobilization in Baghdad and its provinces , such as recruiting the largest possible number of men and preparing them for combat, securing the city walls, and preparing appropriate plans for combat operations. The second was the influential role
of the al -Tahiri prince embodied in formulating the terms of the peace treaty after he had made his decision to stop the war at the appropriate time when he realized that there was no point in supporting Al-Musta'in and the inability of the Baghdadi people to continue fighting under the burden of the unjust siege.

Key terms:
Abbasid state, The influence of Turkish leaders, Prince Muhammad al-Tahiri, War on power

المقدمة:

كثيرة هي الدراسات التاريخية التي تناولت الخلاف على السلطة بين أبناء الاسرة العباسية، والتدخلات السافرة قادة الترك المؤثرين في صناعة القرار السياسي في مؤسسة الحكم، فقد برز وبشكل جلي الدور المهيمن للقادة الترك في العصر العباسي الثاني، بدأ بتنصيبهم لجعفر المتوكل (٢٣٢ – ٢٤٧هـ) حاكما للدولة العباسية بعد وفاة الواثق (٢٢٧ – ٢٣٢هـ) دون وليٍ لعهده. ثم تكررت مسرحيات التنصيب والعزل للحكام العباسيين من قبل القادة الترك، حتى انقسموا الى فريقين متصارعين حينما اتى قسم منهم بالمستعين بالله (٢٤٨ – ٢٥٢هـ) حاكما للدولة بعد موت المنتصر(٢٤٧ – ٢٤٨هـ) ، فكان من تضارب المصالح بينهم ان حدثت الفوضى العسكرية في سامراء التي أدت الى نشوب الحرب الاهلية العباسية الثانية بين المستعين بالله والمعتز بالله (٢٥٢–٢٥٥ هـ).

لكن لم يُفر لدور الأمير محمد بن عبد الله الطاهري دراسة خاصة، انما جاء ذكر دوره ضمنيا في تلك الدراسات التي استعرضت احداث مرحلة الفوضى العسكرية التي

انتشرت بين القادة الترك في العاصمة سامراء واخذت انعكاساتها السلبية بتأجيج نيران الخلافات بين أبناء الاسرة العباسية ومنها حرب المستعين والمعتز.

لذا جاءت هذه الدراسة في ثلاث مباحث سلطت الضوء على هذا الدور الذي لعبه الأمير محمد بن عبد الله الطاهري خلال مراحل الحرب، بدأ من مرحلة التعاضد مع المستعين ونصرته ضد تجاوزات القادة الترك وتهديدات المعتز، مرورا بمهام التهيئة الساحات والاسوار والمقاتلة ووضع الخطط المناسبة للحرب، ثم الاشراف المباشر على ادارة العمليات العسكرية وحماية بغداد وتأمين احتياجات الأهالي، وأخيرا الإدارة الحكيمة التي ابداها الأمير محمد الطاهري في ابعاد خطر الإبادة الجماعية التي قد يتعرض لها الأهالي داخل مدينة بغداد نتيجة الحصار الجائر، والمتمثلة بطلب إيقاف العمليات القتالية والدخول في مفاوضات الصلح مع الطرف الاخر، وقد برز فيها الأمير كمفاوض ناجح من فرض شروطه في بنود الصلح. اعتمدت الدراسة على المنهجية التاريخية التحليلية في سرد الروايات التاريخية وبيان مضامينها، وما كانت تشير اليه في نطاق هذه المباحث الثلاث.

المبحث الأول

نسب الأمير محمد بن عبد الله الطاهري

قبل الدخول في بيان الدور الهام الذي اضطلع به الأمير محمد بن عبد الله الطاهري لا بد من التعرف على هذه الشخصية بشكل دقيق، من خلال استعراض نسب الأمير، واصل اسرته الى اين تنتهي، ثم التطرق الى دور هذه الاسرة البارزة، والتي تركت لها اثرا واضحا في الاحداث التاريخية التي مرت بها، كما ومن الضروري الوقوف على ابرز الشخصيات الأساسية التي انجبتها هذه الاسرة، والمناصب الرفيعة التي تقلدها أولئك الرجال الاشداء في الدولة العباسية، كي يتضح الى أي اسرة ينحدر منها الأمير محمد بن عبد الله الطاهري، والتي ترك اثرا كبيرا في اعداد شخصيته المتميزة وصقلها ليكون احد رجالات القيادة المعتمدة من قبل مؤسسة الحكم في الدولة العباسية.

يرجع نسب الأمير محمد بن عبد الله الطاهري الى الاسرة الطاهرية التي حكمت اقليم خراسان واقاليم بما يضم من أراضي الى ما وراء النهر (١٩٤ – ٢٨٩هـ)، (اليعقوبي، ١٩٨٦) وتنحدر هذه الاسرة من اصلٍ فارسي تدين بالمجوسية ثم دخلوا كموالي في حلف مع

قبيلة خزاعة العربية بعد اعتناقهم الإسلام، (ابن خلكان، ١٩٨٣) ومن هنا جاءت تسميتهم بالخزاعية حيث ان جدهم زريق ابن باذان وقيل ماهان كان على المجوسية ثم اسلم على يد والي سجستان طلحة الطلحات شيخ قبيلة خزاعة. (الكليني، ١٣٦٢) وفيما بعد شغل بعض اجداده مناصب رفيعة في الدولة العباسية، فقد كان جده الأعلى مصعب واليا على إقليم سجستان ثم ضمت له مدينة هراة. (الطبري، ١٩٠٨)

جده الاعلى الامير طاهر بن الحسين (١٥٩- ٢٠٧ هـ) الذي لمع اسمه خلال الاحداث السياسية والعسكرية المتصاعدة بين قطبي الصراع على السلطة محمد الأمين وعبد الله المأمون أبني الخليفة هارون العباسي بُعيد وفاته (١٩٣هـ)، وهي المرحلة التي عرفت بالحرب الاهلية الأولى في الدولة العباسية (١٩٥هـ). (ابن الاثير، ٢٠٠٤) وطاهر هذا من ابرز القيادات العسكرية المساندة لعبد الله المأمون والمناصرة له في تمسك الاخير بولاية العهد بعد أخيه محمد الأمين، فقد سيره المأمون على رأس الجند نحو العراق لمواجهة علي بن عيس بن ماهان امير جند محمد الأمين، (الطبري، ١٩٠٨) وحينما التقى الجيشان كان النصر حليف القائد طاهر بن الحسين حيث قُتل ابن ماهان، فحلت الهزيمة بعسكر الأمين، مما فتح الباب على مصراعيه اما طاهر وجيشه للتقدم نحو بغداد ومحاصرتها، وتحت واطئة الظروف وشدتها؛ انهارت الجبهة الداخلية والقوة القليلة المدافعة عنها، ثم فتحت أبواب اسوار المدينة وتمكنت احدى سرايا جند طاهر بن الحسين من القاء القبض على الحاكم محمد الأمين، وهو في طريقه للهرب متخفا فقتلوه وجاءوا براسه لأمير الجيش طاهر بن الحسن الذي سيره بدوره الى مولاه عبد الله المأمون في خراسان سنة (١٩٨ هـ). (الطبري، ١٩٠٨؛ ابن كثير، ٢٠٠٤)

بعد الانتصارات العسكرية الكبيرة التي حققها الأمير طاهر بن الحسين على جند محمد الأمين، والتي تكللت برجحان كفت مولاه عبد الله المأمون واعتلائه سيدة الحكم، قام الاخير بتعين طاهرا واليا على العراق والأراضي التي فتحها خلال هذه المعارك تثمينا لجهوده واخلاصه في إتمام المهمة الموكلة اليه، (ابن الاثير، ٢٠٠٤؛ الدوري ع.، ١٩٨٨) . ولعل الانتصارات الكبيرة التي حققها الأمير طاهر قد اغاضت منافسيه، فقد تعرض الأمير لبعض الانتقادات من قبل مبغضيه في داخل البلاط العباسي، فقل لهم متهكما: (

...ليس يهنيني ذلك، لأني لا ارى عجائز بوشنج يتطلعن الي من اعالي سطوحهن اذا مررت بهن). (اليعقوبي، ١٩٨٦)

بقي طاهر حاكما عسكرا على بغداد الى ان جاءته الأوامر بتسليم حكومة العراق الى الوزير الفضل بن سهل، ويتوجه الى امارة خراسان والمناطق الواقعة وراء النهر لتولي مهمة عسكرية جديدة لضبط الأمور فيها، على اثر الاحداث الاضطرابات المتسارعة واعمال الشغب الواقعة بين الأهالي، وللحيلولة دون خروج الأوضاع عن سيطرة ممثل السلطة العباسية هناك (٢٠٥-٢٠٨هـ). (ابن كثير، ٢٠٠٤)

ولعل هناك سببا اخر وراء تولية الأمير طاهر بن الحسين امارة خراسان، فقد ارتبطت هذه المسألة بحادثة قتل محمد الأمين، وكأنما تركت هذه الحادثة اثرا مؤلما في نفس عبد الله المأمون تجاه امير جنده طاهر بن الحسين، فيذكر انه ذات مرة دخل طاهر على المأمون فوجد الدموع تنهمر من عيانه، فسأله عما يبكيك، فقال له : (...أبكي لأمر ذكره ذل وستره حزن ولن يخلو أحد من شجن...). (المسعودي ع.، ١٩٧٣) فأوجس طاهر في نفسه خيفة ولم يتجرأ على بسؤال المأمون، اذ لمح على وجهه غيضُ خفي، فأغرى طاهر احد ندماء المأمون المقربين في مجلسه، ان يستفهم عن سبب بكى المأمون، فأخذ هذه الشخص يتحين الفرصة ليسأل المأمون عما ابكاه لما دخل عليه طاهر؟ فقال: (... قال غمني بكاؤك، فقال: هو امر ان خرج من راسك اخذته، فقال: ومتى ابحت لك سرا؟ قال: اني ذكرت محمد اخي وما قاله من الذلة، فخنقتني العبرة، ولن يفوت طاهرا مني ما يكره،...). (الذهبي، ١٩٩١) عجبا اليس المأمون هو مَن سير طاهر بالجند لقتال أخيه الأمين ؟!! وكأنما طاهر هو مَن اوقد نيران الحرب بين الاخوين، وهو مَن كان يصر على قتل محمد الأمين؟!!

وعندما رجع الوسيط بالخبر الى طاهر اسرع الى احمد بن خالد بين له خطورة الامر، وطلب منه ان يجد له باباً ينصرف به عن مُجالسة المأمون، فتفهم احمد وضع طاهر المحرج ودخل على المأمون واخذ يحادثه بشأن الشخص الذي اختير لأمارة خرسان، فقال له: (...لم انم البارحة، فقال له : ولم؟ قال :لأنك وليت خراسان غسان وهو ومن معه اكلة راس، واخاف ان يصطلمه مصطلم، فقال : فمن ترى؟ قال: طاهر، قال :هو خالع؟ فقال: انا ضامن له، فدعا به المأمون وعقد له على خراسان من ساعته...) (ابن كثير، ٢٠٠٤)

وطاهر بن الحسين كان مخلصا لعبد الله المأمون خصوصا في بد اية مشواره العسكري، كما عُرف ببأسه الشديد وحزمه الصارم في ادارة شؤون السلم والحرب، وهو ذو اليمينين كما لقبه بذلك عبد الله المأمون. (الطبري، ١٩٠٨) وعلى الرغم من حدة المنافسة الشديدة بينه وبين الوزير الفضل بن سهل الا ان منزلته بقية كبيرة لدى عبد المأمون، فكثيرا ما كان ال سهل يحاولون الاطاعة به، والتقليل من أهمية إنجازاته العسكرية، والطعن بحقيقة اخلاصه للمأمون، (اليعقوبي، ١٩٨٦) وهذا التنافس ناتج عن خوف الفضل بن سهل من تعاظم نفوذ طاهر وأولاده عند المأمون واستحواذهم على مفاصل الدولة، وهذا يؤدي الى ضياع جهود الفضل بن سهل واخوته ادراج الرياح. (الدوري ع.، ١٩٨٨)

كان تولي طاهر بن الحسين امارة خراسان نقطة انطلاق تحول في طريقة تفكير طاهر نفسه، حيث انه اخذ يشعر بالخطر المحدق به نتيجة تغيير تصرفات عبد الله المأمون تجاهه، سوى اكان بفعل نشاط الوزير الفضل بن سهل العدائي له، (ابن كثير، ٢٠٠٤) او بسبب ان حادثة قتل محمد الأمين التي لم تفارق مخيلة عبد الله المأمون قد ارتبطت بشخص القائد طاهر بن الحسين، فكلما راءه المأمون تذكر فاجعة اخيه المقتول. (الطبري، ١٩٠٨) هذا فظلا عن إصرار أبناء الاسرة العباسية على معاقبة طاهر وعزله عن المشاركة بقيادة مفاصل الدولة خصوصا في بغداد العاصمة. (اليعقوبي، ١٩٨٦)

قامت الامارة الطاهرية سنة (٢٠٥ هـ) في تلك المناطق البعيدة. (الفداء، ١٣٢٥) في بداية الامر كانت تعمل ضمن اطار السياسة العامة للدولة العباسية، بعد ذلك غير الأمير طاهر بن الحسين سياسته تجاه المأمون، فبان عليها لون من التمرد على السلطان في العاصمة بغداد، كان أول مظاهر التمرد الامتناع عن اقامت الخطبة في مدن امارته خرسان باسم الحاكم العباسي عبد الله المأمون، (العمراني، ١٩٩٩) وقد سبق للأخير بعدم الاكتراث بمراعات الاهتمام بأخبار الأمير طاهر، والتغاضي لأهميته العسكرية والإدارية السابقة، ولعل المأمون احس بتحول ولاء طاهر الى جهة العلويين خصوصا الى الامام علي بن موسى الرضا (عليهما السلام)، وهناك إشارات تثبت تشيع الأمير طاهر حيث قيل: (وكان طاهر من أصحاب الرضا (عليه السلام) كان متشيعا وينسب التشيع أيضا إلى بني طاهر). (الكليني، ١٣٦٢)

ويبدو ان تصرفات طاهر تركت اثرا بليغا في نفس عبد الله المأمون اكثر مما كان شائعا ان الأخير تغيير على الأمير طاهر بن الحسين بدفع من أبناء الاسرة العباسي الحاكمة، او كان بتحريض من الوزير الفضل بن سهل، لان في عدم الدعاء للحاكم العباسي يعد خروجا عن الطاعة، (فوزي، ٢٠٠٣) فأتخذ المأمون قراره الأخير بتصفية طاهر جسديا بواسطة احد عيونه المنتشرين في دار امارة طاهر فدس له السم فمات سنة (٢٠٧ هـ). ومما يعضد هذا القول ويرجحه على غيره من الأسباب انفة الذكر هو موت الأمير طاهر المفاجئ دون علة كان قد اشتكى منها قبيل وفاته على السرير، فقد جاء في حادثة موت الأمير طاهر انه: (امساك طاهر عن ذكر الخليفة في الخطبة ودعا لإصلاح الامة، فوصل صاحب البريد الخبر، فمات طاهر بيومه ... وهذا يؤكد بان الخادم هو الذي سمه بسبب خروج طاهر عن طاعة المأمون). (ابن خلكان، ١٩٨٣؛ ابن خلدون، ٢٠٠٣)

ولما وصل خبر موت طاهر بن الحسين الى مسامع عبد الله المأمون في بغداد قال: الحمد لله الذي خدمه وأضرنا، وسارع الأخير الى الإعلان عن مظاهر الحداد الحزن على رحيل احد اركان دولته ومقوي سلطانه، كما امر باستخلاف ابن الفقيد البكر طلحة اميرا على اعمال ابيه الراحل، (الخطيب البغدادي، ٢٠٠٤) وبقي طلحة اميرا على خراسان الى حين وافاه الاجل، فكانت مدة امارته (٢٠٨-٢١٣ هـ). (الطبري، ١٩٠٨) وبعده جاء أخيه الأمير عبد الله ليتولى امارة خراسان لمدة أطول من سلفه، حيث كانت (٢١٣-٢٣٠ هـ)، (ابن كثير، ٢٠٠٤) ولما مات عبد الله بقيا منصب الامارة في ذراريه، فخلفه ابنه الأمير طاهر المعروف بطاهر الثاني (٢٣٠-٢٤٨ هـ)، (الطبري، ١٩٠٨) واخرا حفيده الأمير محمد بن طاهر (٢٤٨-٢٥٨ هـ)، الذي سقطت الامارة الطاهرية في عهده. (المسعودي ع.، ١٩٧٣)

كان عبد الله والد - الأمير محمد الطاهري - الرجل الأبرز بين امراء الاسرة الطاهرية بعد مؤسسها الأمير طاهر بن الحسين، عبد الله خلف أخيه طلحة بأمارة الدولة الطاهرية، فالأمير عبد الله كان من اشد رجالات الدولة العباسية أيام حكم عبد الله المامون (١٩٨-٢١٨هـ) واخية المعتصم (٢١٨-٢٢٧هـ). (فوزي، ٢٠٠٣) كما انه انفرد دون بقية اخوته باهتمام ابيه له بصورة ملحوظة، ولم تكن هذه الخصوصية عبثا، بل هي نابعة من ادراك الأمير طاهر لعظم شخصية ولده عبد الله وكفاءته العالية في أداء المهام الموكلة به،

وما يؤكد حالة الاهتمام هذه قيام الأمير طاهر بأرسال كتاب مطول احتوى على جملة توصيات، لعلها اقرب الى ان تكون دستورا يقتدي بها اولات الامر في الدولة الإسلامية من حكام وامراء وقادة، وهي ما تعارف عليها بوصية طاهر لولده عبد الله، وقد عُبر عنها في الروايات التاريخية التي تعرضت لشخص الأمير طاهر بجملة تعابير جاء في بعضها: أن طاهرا لما عهد إلى ابنه عبد الله هذا العهد تنازعه الناس وكتبوه، وتدارسوه وشاع أمره، حتى بلغ المأمون، فدعا به وقرئ عليه، فقال: ما بقى أبو الطيب – يعني طاهرا – شيئا من أمر الدين والدنيا والتدبير والرأي والسياسة وإصلاح الملك والرعية وحفظ البيضة وطاعة الخلفاء وتقويم الخلافة إلا وقد أحكمه، وأوصى به وتقدم. وأمر أن يكتب بذلك إلى جميع العمال في نواحي الأعمال. وتوجه عبد الله إلى عمله فسار بسيرته، واتبع أمره، وعمل بما عهد إليه. (الطبري، ١٩٠٨؛ خلف، ١٩٨٥)

كان الأمير عبد الله الى جانب ابيه طاهر بن الحسين في معظم عملياته العسكرية، فقد اضطلع بمهام قتالية كبيرة لا تقل أهمية عما انجزه ابيه طاهر في سياق تثبيت الحكم لعبد الله المامون، فبعد الانتصارات الباهرة التي حققها الأمير طاهر في حرب محمد الأمين، والتي كان لولده عبد الله فيها جولات قتالية واسعة أسهمت في احراز تلك الانتصارات. (ابن كثير، ٢٠٠٤) كلف القائد عبد الله بمهمة عسكرية جديدة في الجانب الغربي للدولة الإسلامية، حيث استغل بعض اطراف المعادية للحكم العباسي حالة الفوضى وانعدام القيادة المركزية للدولة العباسية اثناء الحرب الدائرة بين الاخوين الأمين والمأمون، الى اعلان التمرد والعصيان في مناطقهم، فبتوجه من عبد الله المأمون ارسل الأمير طاهر بن الحسين ولده القائد عبد الله الى مصر والمناطق الساحلية في الإسكندرية وما تحيط بها، (المناصيري، ٢٠٠٠) فقد تمكن القائد عبد الله بما عرف عنه من إمكانات قيادية شاملة في ميادين المواجهات العسكرية من انزال الهزائم المتتالية بالقوات المتمردة في مصر والسواحل وابعاد خطر الاندلسيين من التغلغل في المناطق الساحلية (٢٠٠ هـ). (المسعودي ع.، ١٩٧٣)

كما سيره ابيه الأمير طاهر والي بغداد بأمر من عبد الله المأمون للتوجه الى بلاد الشام وقبائل الجزيرة الفراتية لقمع تمرد نصر بن شبت العقيلي والقضاء على أنصاره المتعاونين معه، (ابن الاثير، ٢٠٠٤) وبالفعل فقد تمكن القائد عبد الله بن طاهر من

القضاء على حركة نصر بن شبت وإعادة الأمور الى نصابها السابق، (اليعقوبي، ١٩٨٦) هذه الممارسات والفعاليات المتكررة في حياة ابية الأمير طاهر اكسبت القائد عبد الله المؤهلات المناسبة للنهوض بمهمة الامارة الطاهرية في خراسان خلفا لاخيه طلحة. (الدوري ع.، ١٩٨٨)

شهدت المناطق الواقعة تحت ولاية الامارة الطاهرية في عهد الأمير عبد الله بن طاهر ازدهارا واسعا على مختلف الأصعدة السياسية والاقتصادية والثقافية، لقد نالت الامارة الطاهرية في عهد الأمير عبد الله استقلالا شبة كامل عن مراكز القرار السياسي لدولة بني العباسي، فغدى ارتباطها بالحاكم العباسي اسميا لا غير. (المسعودي ع.، ١٩٧٣) واما على الصعيد الاقتصادي فقد عمد الأمير عبد الله الطاهري على احياء المنتوج الزراعي والحيوان وتعدد مصادر انتاجه من خلال تنشيط سبل النهوض بالمشاريع الزراعية والحيوانية. وفي المجال الثقافي فكفى القول بأن حاضرة الاسرة الطاهرية سجستان غدت منارة للعلم والمعرفة تستقطب العلماء والشعراء واهل الفكر. (ابن كثير، ٢٠٠٤) حتى ساد حكم الطاهرين في عهد الأمير عبد الله ليضم العديد من الأقاليم المجاورة من بلاد ما وراء النهر واراضي السند وقسما كبيرا من بلاد فارس، نتيجة الانتعاش الاقتصادي والاستقرار السياسي السائد وانتشار الوعي الثقافي الذي يتميز به شعوب هذه المناطق الشرقية. (العبادي، ٢٠٠٣)

الا ان الامر لم يدم – فدوام الحال من المحال – فبعد موت الأمير عبد الله خلفه ابنه طاهر المعروف بطاهر الثاني، (بيطار، ١٩٩٢) في عهد طاهر اخذ قوس الصعود لهذه الامارة بالنزول نحو التردي والانكماش حتى اكتمل مشهد الضعف والتقهقر ثم الانهيار والاضمحلال حينما تولى امر الامارة الطاهرية ابنه محمد الذي انشغل بالملذات واللهو عما هو اهم من ذلك. (ابن كثير، ٢٠٠٤)

الملاحظ على الامارة الطاهرية انها على الرغم من سعي امرائها الخمس على انتهاج طريق التحرر عن الهيمنة المباشرة لخلفاء الدولة العباسية عليهم، باتخاذ طريق الاستقلال وان كان محددا، الا ان جميع الامراء كانوا حريصون على الالتزام الشديد بالمحافظة على رمزية السلطان العباسي والإبقاء على اخذ الشرعية منه. (بيطار، ١٩٩٢) ففي مسألة

ملازمة فرض الشرعية العليا للبيت العباسي على كافة الأقاليم الواقعة تحت مضلة الدولة الإسلامية، كان جميع الامراء الطاهرين مستعدون لتقديم الدعم العسكري والسياسي اللازم في سبيل انفاذ شرعية بني العباس قبال جميع قوى المعارضة للوجود العباسي على اختلاف توجهاتها وادعاءاتها، كالعلويين والزيديين والخوارج وبقايا بني امية، وحقيقة الاحداث كاشفة عن هذا الالتزام من قبل امراء الاسرة الطاهرية تجاه اسيادهم ملوك بني العباس، (الدوري ع.، ١٩٨٨)

وبالمقابل تجد تناغم توجهات الحاكم العباسي مع مسلك الامراء الطاهرين هذا، بحيث حافظ الحاكم العباسي عبد الله المأمون ومن جاء بعده ممن عاصر عمر الامارة الطاهرية على هذا التناغم والتفاهم بين امراء الامارة والحاكم العباسي، ومع ان هناك إشارات تاريخية اكدت ميل الأمير طاهر بن الحسين – مؤسس الامارة الطاهرية – نحو الامام الرضا (عليه السلام) ووصفه بالتشيع العلوي، (الكليني، ١٣٦٢) ثم كان من نتاج هذا الميل موت الأمير طاهر بن الحسين في ظروف غامضة في سنة (٢٥٧هـ)، لا تُبرء ساحة الخليفة عبد الله المأمون منها. (المسعودي ع.، ١٩٧٣)

مع كل هذه التقاطعات تجد الخليفة العباسي مصراً على إبقاء امارة خراسان والمناطقة المحيطة بها في ابناء طاهربن الحسين. (فوزي، ٢٠٠٣) ولعل هذا يعكس ادراك مؤسسة الحكم العباسي على اخلاص بني طاهر بالولاء لها والوقوف الى جانبها بوجه الحركات الانفصالية التي اخذت بالظهور في الأقاليم البعيدة عن المركز. (الخضري، ٢٠٠٤) وهذا ما اثبته امراء الاسرة الطاهرية بالتصدي لتلك القوى والثورات المتتالية خصوصا في مناطق المشرق الإسلامي حتى ايامها الأخير وسقوطها على يد الصفارين سنة (٢٥٩ هـ). (الطبري، ١٩٠٨)

بعد ذلك يأتي دور الامير أبو العباس محمد بن عبد الله في الامارة الطاهرية، اذ لم تسمح له الظروف ان يتبوأ منصب الامارة في خراسان، الا انه كان رقما مميزا بين رجالات الاسرة الطاهرية، (ابن كثير، ٢٠٠٤) يتمتع الأمير محمد الطاهري بمميزات متقدمة في ميدان الإدارة المحلية وذو نظرة نافذة في الشؤون السياسية ناهيك عن قدراته البارعة في

ميدان الحروب والعسكرية، (الذهبي، ١٩٩١) اما في مجال الثقافة والادب فكان الأمير محمد الطاهري مرموقا في مجال الشعر والفن. (الصفدي، ٢٠٠٠)

بعد وفاة الأمير طاهر بن عبد الله بن طاهر سنة (٢٤٨ هـ) كانت رغبة الخليفة المتوكل العباسي تميل الى تولية منصب الامارة الطاهرية في إقليم خراسان الى أخيه الأمير محمد بن عبد الله ، (القلقشندي، ماثر الاناقة في معالم الخلافة، ١٩٨٥) الا ان إصرار محمد بن طاهر الثاني على احقيته بولاية عهد ابيه، ووقوف بعض أبناء الاسرة الطاهرية الى جانبه جعل موقف الخليفة العباسي في حراجة من امره، بغية عدم احداث تصعيد الخلاف داخل الاسرة الطاهرية والمحافظة على تكاتف الجهود الموالية للحكم العباسي في تلك الأقاليم التي تشهد بعض أطرافها بوادر عمليات الانفصال، (الصفدي، ٢٠٠٠) على الرغم ان عمه الامير محمد بن عبد الله كان الاجدر من ابن أخيه محمد في الحفاظ على استمرار امارة خراسان بيد الاسرة الطاهرية، لما كان يتمتع به من مؤهلات اللائقة لهذه المهمة الصعبة وخصوصا وان الاخطار تحدق بالأمارة الطاهرية من قبل منافسيهم الصفارين وغيرهم من امراء الأقاليم القريبة منها. (المسعودي ع.، ١٩٧٣)

سبق وان اشارنا الى ان الامارة الطاهرية كانت تشكل دعامة أساسية للدفاع عن وحد أراضي الدولة العباسية، ومصدرا للمناورة العسكرية والسياسية التي تعمل وفق سياسة السلطة، فأحداث نزاع وتطوره الى نزعات قد تصل الى الصدام العسكري بين أبناء الاسرة الطاهرية، يقع في غير مصلحة الدولة ويهدد سلامة وامن اقاليمها، فالمصالحة العليا تقضي بإقرار ولاية محمد بن طاهر الثاني مع علم الحاكم العباسي بعد اهليته لهذه المهمة لعدم توفر مؤهلات القيادة والمقدرة في إدارة أمور الامارة كما كانت عليه أيام اسلافه الأوائل كطاهر المؤسس وابنيه طلحة وعبد الله او حتى لم يكن بمستوى ابيه طاهر الثاني، فظلا عن علم الحاكم العباسي برجاحة عقلية عمه محمد بن عبد الله وما كان يتمتع به من صفات ترشحه لمنصب الامارة، وقد مر الإشارة الى بعضها. (عساكر، ١٩٩٥)

سنة (٢٥٢ هـ) استقدمه الخليفة العباسي جعفر المتوكل الى بغداد ليوليه أمور شرطتها وضبط احوالها بعد ان كثرت فيها اعمال النهب والشغب نتيجة احداث الفوضى التي تسبب بها بعض العامة وشغب الجند، (الذهبي ش.، ١٩٨٤) فعندما وصل الأمير محمد

الطاهري قلده المتوكل امارة بغداد بعد عزل أخيه عبيد الله، فعمل الأمير الجديد على ضبط أوضاع المدينة واصلح شؤون رعيتها. (الدوري ع.، ١٩٨٨) واستمر بعمله الأمير محمد الطاهري الى ان عاصر احداث الفوضى التي عمت العاصمة سامراء نتيجة شغب الجند واستفحال امر قادة الترك، التي أدت الى تحول الحاكم العباسي المستعين بالله عنها الى مدينة بغداد برفقة مجموعة من بعض القادة الاتراك الموالين له كوصيف وبغاء وجماعة كبيرة من بني هاشم وحواشيهم، واستقر الحاكم الفار في دار الأمير الطاهري، (ابن كثير، ٢٠٠٤) فكانت نقطة البداية لحرب الاهلية العباسية الثانية التي عرفت بحرب المستعين والمعتز، وفيها برز دور الأمير محمد بن عبد الله الطاهري المحوري كونه عهد اليه المستعين بالله إدارة ملف الحرب، وبعد نهاية المواجهات القتالية بين الجانبين والخول في مرحلة الصلح كان للأمير محمد الطاهري اليد الطولى في تحديد ملامح بنود الصلح، التي اقرت بقاء الأمير محمد الطاهري على اعمال امارته في مدينة بغداد حتى وافاه الاجل سنة (٢٥٣ هـ). (اليعقوبي، ١٩٨٦؛ الخطيب البغدادي، ٢٠٠٤)

المبحث الثاني

نفوذ الاتراك في الخلافة العباسية

يرتبط موضوع درور الأمير محمد بن عبد الله الطاهري، بالحرب الداخلية التي قامت في الدولة العباسية (٢٥١هـ) على اثر اعمل الشغب والقتل والمؤدية الى انتشار ظاهرة الفوضى العسكرية التي قام بها قادة الجند الترك في العاصمة سامراء، ولا بد من التعريف على أقطاب هذه الحرب الداخلية التي برز فيها دور الأمير محمد بن عبد الله الطاهري، هذه الأقطاب التي تنقسم الى قسمين، الأول: هم العناصر المتصارعة من أبناء الاسرة العباسية لاعتلاء كرسي الحكم، متمثلين في شخصيتي الخليفة احمد المستعين بالله ومحمد بن المتوكل الذي خرج عليه بتحريض من قادة الترك، واما القسم الثاني: فهم قادة الجند من الاتراك الذين اوقدوا نيران هذه الحرب بغية الحفاظ على امتيازاتهم الكبيرة ونفوذه داخل مؤسسة الحكم العباسي. وهذا المبحث سيتناول بدايات استقدام الترك في المؤسسة العسكرية وتداعيات ظهورها كقوة بديلة عن العناصر الأخرى في هذا المجال الأمني وفي طليعتها العنصر العربي، ثم تنامي نفوذهم ليصل الى اختيار شخص الحاكم نفسه، (المسعودي ع.،

١٩٧٣) حتى أصبح تسير الدولة صعبة جدا، بل ومتعسرة على الحاكم، سبب تزايد التوغل التركي في البلاط العباسي. والامر الذي زاد المشهد تعقيدا هو انقسام قادة الترك الى قوى متنافسة فيما بينها بغية الانفراد بالهيمنة على مفاصل الدولة. (بيطار، ١٩٩٢)

ترجع بدايات تواجد الترك (ياقوت الحموي، ١٩٩٥) الى مرحلة متقدمة من عمر الدولة العباسية، وان كان على نطاق ضيق ومختصر على افراد قلائل ضمن مهام محدودة، حيث تم استخدام افراد من عناصر الترك في القيام ببعض المهام أيام الحاكم العباسي أبو جعفر المنصور، (الطبري، ١٩٠٨؛ الجهشياري، ١٩٨٦) فقد ور ذكر أسماء اشخاص كمبارك التركي وحماد التركي كان لهما حضورا في مجالس أبو جعفر المنصور. (ابن الاثير، ٢٠٠٤)

ولم يبرز لعناصر الترك دورا مؤثرا في الحياة العامة خلال عهود خلفاء الدولة العباسية الأوائل حتى جاء عهد الخليفة العباسي المعتصم بالله (٢١٨ – ٢٢٧هـ) ، (مسكوية، ٢٠٠٣) حيث شرع الى الاستزادة من استقدام عناصر الترك وزجهم في القطاع العسكري وبأعداد كبيرة جدا، بحيث اصبح لهم ثقلا كبيرا في موازين القوى القتالية يوازي ثقل العناصر الفارسية لا بل حتى العربية، (الماوردي، ١٩٨٢) وبمجيء هذه القوة وتناميها بهذه السرعة ضعف التأثير الفارسي وابعدوا – ولو مؤقتا – عن التدخل في الشأن السياسي والعسكري، ومن جهة أخرى عمد الخليفة العباسي المعتصم بالله الى اسقاط المقاتلة العرب من دوان العطاء وهذه سابقة خطيرة لم يفعلها اسلافه الخلفاء من قبلُ، على الرغم من ميل اغلبهم للعنصر الفارسي، فلم يقدم احدهم على قطع الارزاق عن الجند العرب. (الكندي، ١٩٩١)

بمرور الوقت تنامى دور القادة الترك في المؤسسة العسكرية بشكل كبيرة، فاخذوا يتدخلون بشؤون الإدارة والتعبئة العسكرية، وبعبارة أخرى شهدت عهود الحكم منذ وقت الخليفة المعتصم بالله والى ما يليه من خلفاء الدولة العباسية حتى سنة (٣٣٤هـ) هيمنة مطلقة للقادة ترك على مفاصل الدولة العباسية بما في ذلك الحجابة والوزارة وحتى منصب الخليفة نفسه. (ابن تغريد، ١٩٩٢)

ثم جاء ابو جعفر هارون ولقب بالواثق بالله (٢٢٧ – ٢٣٢هـ) الى الحكم بعد موت ابيه المعتصم واستمر على نفس نهج سلفه في مواصلة الاعتماد على الجند الترك ومنح قياداتهم العسكرية مزيدا من الصلاحيات حتى غدى نفوذهم يتسع لينفذ في جميع مفاصل السلطة، (ابن عبد ربه الاندلسي، ١٩٦٥) وفي عهد الواثق بالله حدث امرا فتح الباب على مصراعيه امام بعض المتنفذين من قيادات الترك بالتدخل في اختيار الحاكم العباسي وبشكلٍ علني، حيث ان الواثق العباسي لم يحدد مَن يليه في الحكم ووافته المنية دون ولي عهد، هنا استثمر القادة الترك هذا الفراغ الخطير واقدموا على اختيار جعفر بن المعتصم حاكما للدولة العباسية واطلقوا عليه لقب المتوكل على الله، (الخطيب البغدادي، ٢٠٠٤) بحجة انهم خافوا على المُلك ان يخرج من بين أولاد سيدهم الكبير وصاحب نعمتهم الى الغير من بني العباس، (الدوري ع.، ١٩٨٨) كما انهم أرادوا ان تكون لهم المنة والفضل على المتوكل بعدما البسوه جبة الحكم وقلده امر الدولة بعد الواثق مع انه لم تكن له ولاية عهد. (شلبي، ١٩٦٠)

الا ان الامر انقلب عليهم فقد أدرك الخليفة المتوكل منذ بداية اختياره خليفة في الدولة العباسية ان القادة الترك لم يقصدوا خدمته او أبناء المعتصم فحسب، بل أراد من تنصيبه كي يكون وسيلة تقوى بها قبضتهم على مصدر القرار الرئيسي في الدولة، فاخذ يعمل على تقويض نفوذهم والحدد من هيمنتهم عليه وعلى مؤسسات الدولة وفي طليعتها الموارد المالية والعسكرية والسياسية، قبال ذلك احسن القادة الترك بمساعي المتوكل واوجسوا منه خيفة، فعمدوا الى ارباك مخططه وافشاله، عبر اثارة الفتن داخل البلاط العباسي، مستثمرين في سبيل ذلك حالة الامتعاض التي أصدرها ابنه البكر وولي عهده المنتصر، حيث ان المتوكل بعد ان استقرت له أمور السلطة رغب في توريثها في ابناءه الثلاثة، وعقد لهم بولاية عهده على التوالي واطلق عليهم الألقاب المنتصر والمعتز والمؤيد، (الخطيب البغدادي، ٢٠٠٤) الا ان الخليفة المتوكل العباسي بعد ذلك اظهر رغبته بعزل ولده محمد المنتصر عن ولاية العهد وحاول تقديم ابنه الاخر المعتز عليه نزولا على رغبة زوجته ام المعتز. (ابن الاثير، ٢٠٠٤)

مما تسبب بزيادة حالة الاحتقان بين الخليفة المتوكل وابنه البكر محمد المنتصر، وبذلك وجد القادة الترك الفرصة سانحة امامهم لبث روح المنافرة بين الاب وابنه، فأخذوا بتأليب الولد على ابيه حتى اوغلوا قلبه حقدا على المتوكل، وصادف ان الخليفة المتوكل كان في احد مجالسه الحمراء في قصره بمنطقة المتوكلة والى جانبه نديمه المفضل الفتح بن خاقان، فدخلوا عليه بعض قادة الاتراك وقتلوه مه نديمه ابن خاقان بتواطؤ مع ولده محمد في سنة (٢٤٧هـ). (الطبري، ١٩٠٨)

شكل اغتيال الخليفة المتوكل بعملية تأمرية مشتركة بين ابنه محمد المنتصر وبعض قادة جند الترك منعطفا خطيرا في تاريخ التدخل العسكري التركي بشؤون الحكم في الدولة العباسية، (فوزي، ٢٠٠٣) حيث بلغ تدخل قادة الترك اعلى مستوياته بحيث وصف بهذا القول: (... ان الاتراك قد استولوا منذ قتل المتوكل على المملكة، واستضعفوا الخلفاء فكان الخليفة في ايديهم كالأسير ، ان شاءوا ابقوه، وان شاءوا خلعوه وان شاءوا قتلوه...). (ابن الطقطقي، ١٩٦٢، صفحة ٢٤٠) كما رافق هذا النمو المتصاعد للنفوذ العسكري التركي ظهور حالة جديدة كشفت عن نزاعات بين قادة الترك انتجت حالة من الانقسامات داخل المنظومة العسكرية للجند الترك أدت الى انتشار عمليات التصفية الجسدية لبعض اطراف النزاع من قادة الترك، ثم كان من نتاج هذه الفوضى ان أوصلت البلاط العباسي الى مرحلة الاقتتال الداخلي الدامي فيما بعد. (فوزي، الخلافة في عصر الفوضى العسكرية ، ١٩٧٣) بدعم من قادة الترك توج المنتصر بالله حاكما للدولة العباسية بنفس الليلة التي قتل فيها ابيه المتوكل ، وكان من الطبيعي ان يقع الحاكم الجديد تحت الضغط المباشر من قبل قادة الترك الذين شاركوه بمهمة تصفية ابيه المتوكل، (الطبري، ١٩٠٨) اسرع القادة الترك الى تشكيل مسرحية صورية لحادثة اغتيال المتوكل بحضور جمع من رجالات الدولة العباسية بينهم الكتاب والقواد ورؤساء القبائل العربية ، وقسما من الشاكرية وغيرهم من الوجوه والاعيان، قراء على مسامعهم الوزير احمد بن الخصيب اتهم فيها الفتح بن خاقان بقتل المتوكل ثم قتله المنتصر ثأرا لأبيه. (الدوري ع.، ١٩٨٨)

كما اصرا القادة الترك على ان يقوم المنتصر ان يعقد بولاية العهد لابنه الصغير عبد الوهاب بعد ان يخلع اخويه المعتز والمؤيد عنها، فقد كان يردد بعض القادة الترك أمثال بغا

ووصيف قول: (... انا لا نأمن الحدثان، وان يموت امير المؤمنين، فيلي المعتز الخلافة فيبيد خضراءنا، ولا يبقى لنا باقية، والان الرأي ان نعمل في خلع المعتز والمؤيد...). (الطبري، ١٩٠٨، صفحة ج٥، ص١٦٧؛ ابن الاثير، ٢٠٠٤، صفحة ج٦، ص١٨٥) عرض الامر على المؤيد والمعتز خلع نفسيهما ومبايعة ابنه الصغير، وافق المؤيد على الخلع والمعتز اول الامر لكنه تراجع وخلع نفسه حينما حذره أخيه المؤيد من غدر القادة الترك وخبث نواياهم، فقد جاء في تحذير المؤيد للمعتز: (... يا جاهل تراهم نالوا من ابيك وهو، هو ما نالوا، ثم تمتنع عليهم ؟ اخلع ويلك لا تراجعهم! ... فقال : هذا الامر قتل اباك وهو يقتلك ، ... فقال : افعل). (ابن كثير، ٢٠٠٤، صفحة ج٧، ص٩٨)

وبدء المنتصر يشعر بوطأة الاتراك وطغيانهم واستبدادهم، فأخذ يفكر بوضع حدا لتدخل الاتراك في شؤون الحكم. ولعل هذا واضحاً بتصريحات المتكررة ، فقد جاء عنه : (ان هؤلاء قتلة الخلفاء). (السيوطي، ١٩٥٢، صفحة ص٢١٠) والحقيقة ان القادة الترك قد احكموا قبضتهم الشديدة على رجالات البلاط العباسي ، فضلا عن هيمنتهم المطلقة على مفاصل الدولة، فلم يستطع المنتصر بالله فعل أي شيء من شأنه الاضرار بمصالح القادة الترك، فقد حاول المنتصر ان يفرق بين القادة الترك لتقليل اثرهم عليه، خصوصا بين بغاء ووصيف حيث ارسل في طلب وصيف وشرح له خطر هجمات الروم على ثغور المسلمين في المناطق المحاذية لهم، فقال له المنتصر: (... قد اتانا عن طاغية الرومانه اقبل يريد الثغر، وهذا امر لا يمكن الامساك عنه، ولست آمنة ان يهلك كل ما مر به، من بلاد الاسلام يقتل ويسبي، فأما شخصت انت، واما شخصت انا، فقال: بل اشخص انا يا امير المؤمنين، ...). (ابن عبد ربه الاندلسي، ١٩٦٥، صفحة ج٤، ص١٤٥) هذه الحادثة وغيرها جعلت القادة الترك يتيقنون من نوايا المنتصر فاقدموا على قتله غيلة بالسم عن طريق بعض المتعاونين معهم من خدم المنتصر، (المسعودي ا.، ١٩٧٩) فمن قائل انه فصد بمبضع مسموم فمات على اثره، ومن قائل ان الذبحة اخذته في حلقه، واستمرت لمدة ثلاثة ايام، ويبدو ان للقادة الاتراك دوراً في موته، ولو انه لا توجد اية اشارة الى ذلك. فلم يدم ملكه سوى شهور قلائل. (اليعقوبي، ١٩٨٦)

بعد تصفية المنتصر بالله عاد كبار قادر الترك الكرة ثانيتا واختاروا هم من يخلف المنتصر بالحكم، كما فعلوها في المرحلة الأولى حينما جاءوا بالمتوكل خلفا للواثق دون عهدٍ سابق بالولاية، (شلبي، ١٩٦٠) فقد اجتمعت كلمة قادة الترك وعلى رأسهم بغا الصغير وأتامش بغا الكبير وغيرهم : (... فاستحلفوا قوّاد الاتراك والمغاربة والاشروسنية على ان يرضوا بمن رضي به بغا الكبير وبغا الصغير وأتامش، وذلك بتدبير احمد بن الخصيب، فحلفوا وتشاورا، وكرهوا ان يتولى الخلافة احد من ولد المتوكل لئلا يغتالهم واجمعوا على احمد بن محمد بن المعتصم، وقالوا : لا تخرج الخلافة من ولد مولانا المعتصم...). (السيوطي، ١٩٥٢، صفحة ص٢٤٥؛ الطبري، ١٩٠٨، صفحة ج٧، ص٤١٧)

تمت لأحمد البيعة سنة ولقبوه بالمستعين بالله (٢٤٨ – ٢٥٢ هـ)، (السيوطي، ١٩٥٢) ومع ان هذا الخطوة تبين للمتتبع وبوضوح حجم قوة تدخل المؤسسة العسكرية بالتحكم في القرارات المصيرية في العصر العباسي الثاني، وخصوصا فيما يتعلق في اختيار الحاكم العباسي، الا انها من جهة أخرى زادت وبشكلٍ واسع في حجم الهوة الحاصلة بين قادة الترك الكبار من ذو النفوذ والسطوة في الدولة حيث قيل: (... انكر بعض القواد البيعة ...)، (ابن الاثير، ٢٠٠٤، صفحة ج٧،ص٢١٣) فقد مر ذكر ان النمو المفرط الحاصل في نفوذ الهيمنة العسكرية على مصادر القرار في الدولة الى الحد الذي اصبح لكبار القادة الترك الحق في اختيار مَن يرضونه ليكون حاكما للدولة. (شلبي، ١٩٦٠)

والى جانب ذلك ظهرت حالة من المنافسة الشديدة بين أولئك الكبار من القادة الترك ذوي النفوذ الواسع، ومن الطبيعي ان تحدث هذه المنافسة بينهم، لان مَن تكون لرأيه الغلبة في صناعة هذا الشخص حاكما دون سواه من افراد البيت العباسي، يكون له النفوذ الواسع والكلمة العليا في ادارت موارد الدولة المالية وفي طليعتها الاستحواذ على خزائن الأموال، كما ويعمل على اضعاف كبار القادة من الطرف الاخر المنافس له. (الدوري ع.، ١٩٨٨) فمغانم السلطة غالبا ما تكون الهدف الأساس الذي تسعى القوى المتنفذة الاستحواذ عليه.

وقطعا هذه المرحلة كانت اكثر تعقيدا مما سابقتها، حيث تنامي سطوة قادة الترك وانقسامهم الى فريقين متنافسين في ميدان السيطرة على مؤسسة الحكم في الدولة العباسية، خصوصا وان المستعين بالله قد اطلق يد عناصر من قادة الترك الذين اجلسه على كرسي الحكم خلفا

للمنتصر، (السيوطي، ١٩٥٢) ومن الطبيعي ان يقع المستعين بالله تحت سيطرة كبار القادة الترك من هذا الفريق الى درجة كبيرة، فلم يكن له راي بعد ان أصبحت الأمور بيد القائدان التركيان أوتامش التركي والخادم شاهك التركي اللذان استأثرا بالامر وغدا المتحكمين بمقادير السلطة ومواردها العامة وفي طليعتها الاقتصادية، وكانت تشاركهما في هذا الامر السيدة مخارق التركية ام المستعين بالله وتدعمهما بشدة. (الطبري، ١٩٠٨) وبمرو الوقت اصبح القائد أوتامش التركي الرجل الأول في البلاط العباسي، فقد كانت له الوزارة وولايتي مصر والمغرب وخراجهما، ومؤدبا للعباس ابن المستعين بالله. (الخطيب البغدادي، ٢٠٠٤)

هذا التفرد بالسلطة من قبل القائدين التركيين أوتامش وشاهك الخادم وفريقهما المهيمن على الأمور جوبه بمعارضة شديدة من قبل قادة الفريق الاخر المتضرر، وفي طليعتهم القائد باغر التركي الذي شكل قطب تجمعت حوله العناصر التركية الأخرى الراغبة بازلت هينمة اوتامش، وبالفعل فقد تظافرت جهودهم وتمكنوا أخيرا من الثورة وقتل اوتامش والهجوم على داره ونهبها كما نهبوا دار مساعده شجاع بن القاسم، (النجار، ٢٠٠٤) ولعل في رفض المستعين اغاثت اوتامش بعد ان استغاث به الأخير لنجدته من الثوار، يعكس وبصورة جلية حجم الرغبة التي كانت لدى الحكام العباسيين – ومنهم المستعين – بالخلاص من سطوة نفوذ قادة الجند الترك، فقد تركه يلاقي مصيره المحتوم دون ان يقدم له المساعدة. (السيوطي، ١٩٥٢)

يأتي القائد باغر التركي الذي كان من ضمن المجموعة المتورطة في تنفيذ عملية اغتيال المتوكل العباسي – ان لم يكن ابرزها – (ابن كثير، ٢٠٠٤) وكان باغر من القادة الترك الأقوياء الراغبون بالانفراد بالسلطة، وممن عارض فكرة القائد اوتامش بتنصيب المستعين حاكما خلفا للمنتصر، كما انه كان يخطط للتخلص من المستعين وقتله فقد قال لجماعته: (... الزموا الدار حتى نقتل المستعين ووصيف وبغا ونجيء بعلي بن المعتصم أو بأبن الواثق ونجعله خليفة ، حتى يكون الأمر لنا، كما هو لهذين اللذين استوليا على أمر الدنيا، وبقينا نحن في غير شيء ...) ، (الطبري، ١٩٠٨، صفحة ج٧، ص٢٣٦) جوبهت رغبات باغر وفريقه بمعارضة شديدة من قبل الفريق الأخر ضمن المؤسسة العسكرية المتصارعة على النفوذ، فقد كان وصيف وبغا ممن استشعرا خطر باغر وهيمنة

فريقه على أمور البلاط العباسي، وعملا على تأجيل رغبة الانتقام من باغر في نفوس خصومه الاخريين، مما عجل في تصفيته جسديا على يد بعض العناصر الموالية لوصيف وبغاء، (ابن كثير، ٢٠٠٤) وبتحريض من قبل الحاكم العباسي المسعين بالله الذي كان ناقما على ممتعضا من تصرفات باغر واعوانه. (السيوطي، ١٩٥٢)

وكان باغر متعذرا بسوء إدارة المستعين، حيث عمد الأخير على اطلاق يد وزيره اتامش التركي وخادمه شاهك التركي في خزائن بيت الأموال بطريقة لم تماثلها أي عملية من عمليات الاستحواذ الشامل في عهود الحكم السابقة بحيث استولى اتامش ومرتزقته الاتراك على الأموال الحكومية.

المبحث الثالث

دور الأمير محمد الطاهري في الحرب (٥١-٥٢ هـ)

يبدأ دور الأمير محمد بن عبد الله الطاهري في الحرب الداخلية في الدولة العباسية الواقعة بين المستعين والمعتز (٥١-٥٢ هـ)، حال انتقال الخليفة العباسي المستعين بالله الى مدينة بغداد واتخذ الأخير من دار الأمير الطاهري مقرا له، (ابن الاثير، ٢٠٠٤) على أثر احداث الفوضى المتفشية في العاصمة سامراء، نتيجة انقسام القادة الترك الى مجاميع متصارعة بغية الاستحواذ على مغانم السلطة. (الطبري، ١٩٠٨) وقبل التعرض الى دور الأمير الطاهري لا بد من استعراض ملابسات عملية تحول الخليفة العباسي المستعين بالله عن العاصمة سامراء الى مدينة بغداد.

اثار مقتل باغر التركي حالة من الهيجان والشغب بين العناصر الموالية له وجماعة وصيف وبغاء، أدت الى عدم استقرار الأوضاع في مدينة سامراء، (الخطيب البغدادي، ٢٠٠٤) مما دفع بالخليفة العباسي المستعين بالله الى ترك العاصمة سامراء مع بعض كبار القادة كوصيف وبغاء متوجها نحو مدينة بغداد، (ابن الاثير، ٢٠٠٤) ولعل في قرار المستعين بترك حاضرة الدولة العباسية إشارة الى رغبته بالابتعاد عن أجواء الفوضى الناتجة عن هيمنة قادة الجند الترك، وللخلاص من سيطرتهم على مقاليد الأمور فيها، والعمل مع اهل بغداد للحد من ظاهرة التسلط القادة الاتراك، فقد امست وضعية الخليفة العباسي مزرية جدا ولا يمكن التغاضي عنها، خصوصا بعد ان تنامت الرغبات لدى القادة الاتراك وتعددت

رموزهم، مما أدى الى حالة من الاحتقان بين أولئك القادة المتنافسين في ميدان الاستحواذ على السلطة والانفراد بالقرار داخل البلاط العباسي دون غيرهم من القادة الاخرين. (الدوري ع.، ١٩٨٨)

هذا من جهة ومن جهة أخرى كان يرى في أهالي بغداد الملاذ الامن له والاعوان المدافعين عنه امام خطر قادة الترك، فأهالي بغداد كانوا حاقنين كثيرا على العناصر الترك، حيث كانت بين الطرفين جولات متكررة من الصدام الدامي، منذ أيام المعتصم العباسي في بداية خلافته، حينما أكثر من استقدامهم الى بغداد واسكانهم بين الأهالي ثم عمد الى استخدامهم كقوة أساسية في المؤسسة العسكرية وبديلة عن العناصر الأخرى كالعربية والخرسانية التي كانت تمثل القوام الرئيسي للدولة العباسية. (بيطار، ١٩٩٢) فكان اختيار المستعين بغداد كوجهة يتحصن بها اختيارا مناسبا في تلك الظروف.

كما ان أهالي بغداد رحبوا كثيرا بقدوم الخليفة العباسي المستعين بالله بينهم، وأعربوا عن تقديم صور الولاء والطاعة له تعبيرا عن شعورهم في استعادة موقعهم المركزي والقيادي الذي فقدوه حينما انتقل المعتصم بالله الى مدينة سامراء واتخاذها عاصمة جديدة للدولة بدلا عن بغداد. (اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ١٩٨٦)

اتخذ الخليفة المستعين بالله من دار الأمير محمد بن عبد الله الطاهري مقرا له، وجعله مساعده الأساس واطلق يده في تدبير اموره في المرحلة القادمة، (الخطيب البغدادي، ٢٠٠٤) فالمهمة صعبة وشاقة على الأمير محمد بن عبد الله الطاهري، خصوصا بعد ان استدرك قادة الجند الاتراك في سامراء خطورة التطورات الناجمة عن عملية انتقال المستعين بالله من بينهم الى مدينة بغداد واتخاذها مركزا لإدارة شؤون الدولة العباسية بعيدا عن هيمنتهم، لذا عمد القادة الترك الى محاولة الالتفاف على حرك المستعين بالله الانقلابية وافشال مساعيه فتظاهروا بالندم عما انتهت اليه الأمور من مظاهر الشغب والفوضى، (ابن عبد ربه الاندلسي، ١٩٦٥) ثم وشكلوا وفدا من بينهم يذهب الى بغداد ويلتقي بالمستعين ويقدم له شارات الملك بعد الاعتذار وتجديد الولاء والطاعة، وقالو له: (... قد اخطأنا وأمير المؤمنين الصادق في كل قوله ، ونحن نسأله العفو عنا والصفح عن زلتنا، فقال المستعين ، قد صفحت عنكم ورضيت ، فقال له بايكباك: فإن كنت قد رضيت عنا وصفحت فقم فأركب

معنا الى سامراء ٠٠٠ وقال لهم المستعين : تصيرون الى سامراء ، فإن ارزاقكم دارة عليكم وانظر في أمري ها هنا ومقامي). (الطبري، ١٩٠٨، صفحة ج٧،ص٢٣٤)

بعد هذا القاء تأكد لدى قادة الجند الترك في سامراء نوايا المستعين بالله الرامية الى اضعاف نفوذهم والحد من سيطرتهم على مؤسسة الحكم، فأصبح القادة الترك امام اختبار حقيق يهدد وجودهم داخل البلاط العباسي كعنصر رئيسي في اختيار شخص الحاكم، فلا بد لهم من اتخاذ إجراءات حازمة بوجه مخططات المستعين بالله وانصاره من أهالي بغداد وفي طليعتهم الأمير محمد بن عبد الله الطاهري. (فوزي، الخلافة في عصر الفوضى العسكرية ، ١٩٧٣) فبمجرد عودت الوفد المفاوض الى سامراء اعلنوا خلع المستعين بالله واخرجوا ولدي المعتصم المعتز والمؤيد من السجن وبايعوا للأول وجعلوا الثاني ولي عهده، (المسعودي ا.، ١٩٧٩)

فأصبح في الدولة العباسية حاكمين يُدعا لهما في وقت واحد، المعتز في سامراء والمستعين في بغداد، (السيوطي، ١٩٥٢) ثم أرسل المعتز خطابا الى المستعين يحثه على خلع نفسه والدخول في الطاعة، لكن الطلب جوبه برفض شديد، فقرر المعتز وبتحريض من القادة الترك اعلان حالة التعبئة العسكرية والتهيؤ لمهاجمة المستعين بالله في مدينة بغداد، فعقد المعتز لاخيه ابي احمد الموفق على قيادة الحملة العسكرية، وفي المقابل كلف المستعين بالله الأمير محمد بن عبد الله الطاهري الاشراف على عمليات الاستعدادات والتعبئة العسكرية اللازمة لمواجهة القوات المهاجمة، (الذهبي ش.، ١٩٨٤) ومن هنا يبرز الدور الهام الذي اضطلع به الامير الطاهري في إدارة مراحلة الحرب الاهلية العباسية الثانية الواقعة بين المستعين والمعتز.

هذا الدور للأمير الطاهري اتخذ اشكالا متعددة تبعا لتطور الاحداث الطارئة جراء المواجهات الحربية بين الطرفين، وعلى ضوء تلك المتغيرات يمكن تقسيم دور الأمير محمد الطاهري الى مرحل ثلاث: الأولى تمثلت بتحمله اعباء حالة الطوارئ واتخاذ الاستعدادات الازمة لمرحلة التعبئة العامة التي سبقت مرحلة المواجهات القتالية، والثانية متعلقة بإدارته للعمليات القتالية خلال الاصطدام العسكري المباشرة مع جند المعتز، والثالثة تبرز بدوره السياسي الحرج كونه المفاوض الرئيسي مع ابي احمد الموفق.

منذ اليوم الأول لوصول الحاكم العباسي المستعين بالله الى مدينة بغداد، برزت منزلة الامير محمد بن عبد الله الطاهري الرفيعة عند المستعين، وقد تجسد ذلك بنزول المستعين في دار الأمير الطاهري، كما ان الاخير اعلن المساندة المطلقة للمستعين ومشروعه الرامي الى تقويض نفوذ قادة الترك السياسي ودورهم المهيمن على البلاط العباسي في سامراء العاصمة. (الخطيب البغدادي، ٢٠٠٤) ولما أعلن المعتز الحرب على المستعين وانيطت به إدارة العمليات القتالية اثبت الأمير الطاهري براعة فائقة في مواجهة الحملات العسكرية التي سيرها المعتز لمهاجمة بغداد. (شلبي، ١٩٦٠)

سارع الأمير محمد الطاهري الى اضعاف القدرات الاقتصادية لأهالي سامراء عبر إيقاف امدادات الميرة الواردة اليها من جهتي بغداد والمواصل، (ابن كثير، ٢٠٠٤) كما اتخذ التدابير الأمنية المناسبة لصد هجمات جند سامراء المتقدمة صوب بغداد، حيث امر الأمير محمد الطاهري وبتوجيه من قبل المستعين بالله الى تعزيز التحصينات الدفاعية لمداخل المدينة، بإقامة سورين إضافيين حولها، الأول يحيط المناطق الغربية الى الشمال من باب الشام، حيث يضمن السور الحماية لمساحة واسعة من الجهة الغربية للمدينة خصوصا المناطق والاحياء الواقعة ضمن هذه الجهات، وفي طليعتها محلة الحربية وغيرها من المحال المهمة فيها، وصمم السور بطريقة غاية في الدقة والاتقان ليلبي الحاجة التي شيد لأجلها، فكانت له عدة أبواب تسهل عملية الدخول والخروج منه، وقد تم انشاء هذا السور بمدة قصيرة استغرقت حوالي ثمانية عشر يوم. (الطبري، ١٩٠٨) واما السور الثاني فكان محيطا بالجهات الشرقية للمدينة/، حيث ضمت العديد من المناطق والمحال المهمة كالرصافة والمخرمة والشماسية وغيها من المحال التي احيط بها هذا السور. كما أصر الأمير محمد الطاهري على ان يتم حفر خندق عميقة امام السوريين، (فوزي، الخلافة العباسية، ٢٠٠٣) فظلا عن اقامت مظلات مشرعة على جوانب السوريين المطلة على ساحات المعاركة، تكون محطات يلجئ اليها الفرسان للاستراحة اثناء عمليات الكر والفر، ولتقييهم تقلبات الطقس من اطار واشعة الشمس. (السوداني، ١٩٧٩)

ولم تختصر تدابير الأمير محمد بن عبد الله الطاهري الاحترازية على انشاء السورين بل اعطى توجيهاته المباشرة لتعزيز القوة المدافعة عن هذه الاسوار فرفدها بالمزيد من الرجال

المقاتلة كما زدها بالعديد من الأسلحة الدفاعية كالمنجنيق والعرادات والسلالم وجرار الحامض الكبيرة/ كما امر الأمير الطاهري بتعزيز امن دهاليز المؤدية الى الأبواب الرئيسية والفرعية للاسوار، فقد وجه بشحن الدهليز الواحد بمئة فارس ومثلها من الراجلة، ثم جعل على كل دهليز امير يأتمر الجند بأمره وهو بذات الوقت متصلا بالامير الطاهري. (ابن كثير، ٢٠٠٤) واما الأبواب فأمر الأمير بتدعيمها بالشداخات الساندة التي تزيد من قوة تماسك الابواب امام حملات جند المعتز. (الطبري، ١٩٠٨)

وفي اطار التعزيزات الأمنية قام الأمير محمد بن عبد الله الطاهري بتوجه مجاميع خاصة من المقاتلة الى كسر سدود القناطير وبثوق المياه المنتشرة على مجرى نهري دجلة والفرات، وخصوصا الجداول المتفرعة من نهر الفرات والمتشعبة في الأراضي الزراعية بين مدينة بغداد مدينة الأنبار، (الخطيب البغدادي، ٢٠٠٤) حيث تعمد الأمير محمد الطاهري احداث هذه الخروقات المائية ليجعل حول مدينة الانبار محصنة من خلال احاطتها بالعديد من المسطحات المائية المنتشرة في ضواحيها، وهنا لابد من بيان سبب اهتمام الأمير الطاهري بمدينة الانبار ذات الموقع المتشرف على مدينة بغداد، حيث تقع الانبار الطريق الرابط بين سامراء وبغداد، فظلا عما كانت تقدمه الى أهالي بغداد من سلة غذائية غنية بالمحاصيل الزراعية المتنوعة، وما كانت تقله الزوارق والسفن الصغيرة التي تتخذ من نهر الفرات طريقا نهريا توصل البضائع والمؤن القادمة من بلاد الشام وسواحل البحر الأبيض المتوسط وايصالها الى مدينة بغداد عبر نهر عيسى الرابط بين الفرات ودجلة، (ياقوت الحموي، ١٩٩٥) لذا كانت توجيهات الأمير الطاهري صارمة بهذا الصدد خشيت ان يتمكن جند المعتز من اختراق التحصينات ودخول مدينة الانبار وقطع هذا الشريان الحيوي عن الاهالي، ومن ثم تصبح بغداد هدف يسهل استباحته، بعد محاصرتها وانهاك قواها الداخلية. (الدوري ع.، ١٩٨٨) وهذا ما حدث بالفعل فيما بعد.

وفي ذات السياق الرامي الى تعزيز الإجراءات التي من شأنها تعضيد موقف المستعين بوجه العمليات العسكرية المزمع شنها من قبل المعتز وبتحريض وإدارة مباشرة لقادة الجند الترك، بعث الأمير محمد بن عبد الله الطاهري بالكتب الى امراء الأقاليم الإسلامية من اجل حثهم على تجديد البيعة للمستعين وعدم الامتثال الى دعوى المعتز التي

وجهها اليهم بخلع المستعين والبيعة له، (ابن خلدون، ٢٠٠٣) لان البعض من امراء الأقاليم قد اذعنوا لطلب المعتز واعلوا البيعة له بعد خلع المستعين بالله. (اليعقوبي، ١٩٨٦) كما وطلب الأمير محمد بن عبد الله الطاهري من الامراء الموالين للخليفة المستعين بالله في مدينة بغداد الى الاسراع بأرسال المستحقات الواجبة عليهم من أموال الخراج والزكاة وغيره من الموارد المالية الأخرى دعما للمجهود الحربي. (القلقشندي، ماثر الاناقة في معالم الخلافة، ١٩٨٥)

واجه الأمير محمد الطاهري صعوبة كبيرة في إدارة ملف الحرب، فقد حشد المعتز جيشا كثيفا في العدة والعدد، اذ زاد تعداده على سبعة الاف مقاتل، تألف من ثلاث جهات أساسية كان اكثرهم تُركا من إقليم الصغد والمناطق المجاورة له الواقعة ما وراء نهر جيحون الى الجهات الشرقية. ثم المغاربة وهم جماعات من قبائل عربية استوطنوا الجهات الشمالية الغربية من افريقيا. وأخيرا عناصر الفراغنة الذين نسبوا الى إقليم فرغانة واشرونسة. (فوزي، الجند الاموي والجيش العباسي، دراسة في تطور المؤسسة العسكرية في العصرين الاموي والعباسي، ١٩٧٩) فكان جيشا قويا متماسكا تحت قيادة الأمير ابي احمد الملقب بالموفق وبإسناد مباشر من قبل القائد الكبير كلباتكين التركي، فظلا عن الخبرة القتالية الواسعة التي كان يتميز بها عناصر هذا الجيش. (ابن كثير، ٢٠٠٤)

في المقابل كانت قوات الأمير محمد الطاهري المدافعة عن المستعين ترتكز بالدرجة الاولى على العنصر العربي القاطن في بغداد وضواحيها، بالإضافة الى المقاتلة من الأبناء والعنصر الخرساني والى جانبهم بعض القوات من الترك الذين انتقلوا الى بغداد ممن فضل البقاء على بيعة المستعين بالله. (فوزي، الجند الاموي والجيش العباسي، دراسة في تطور المؤسسة العسكرية في العصرين الاموي والعباسي، ١٩٧٩)

الا ان هذه التشكيلات القتالية المنضوية تحت ادارة الأمير محمد الطاهري لم تكن بحجم قوات المعتز المهاجمة، فظلا عن الفارق الكبير في التسليح بين الطرفين من حيث الكمية والنوعية/، لذا تجد الأمير محمد الطاهري يقدم على استثمار بعض صنوف قوى الداخل التي لها المقدرة على المشاركة الفعالة في القتال، بزجها في ميدان المعارك كقوة ساندة تقاتل الى جانب تشكيلات القوات الجيش النظامية، فقد دعا الأمير الطاهري عناصر

العياريين الى التعبئة العامة والقيام بأعدادهم وتدريبهم وتجهيزهم ببعض الأسلحة المناسبة لهم، كالكافركوبات أي المقارع والترأس المعمولة من البواري الحديدية المطلية رؤوسها بالقير واكياس مملوءة بالحجارة، كما اقر لهم العطاء بعد تثبيت أسمائهم في ديوان الجند، (سعد، ١٩٧١) وقسمهم على أبواب اسوار بغداد على شكل كتائب نظامية تقاتل كل وحدة تحت عريفها، فكان من بين العرفاء الذين ذاع صيتهم في قتال العدو هو ابي جعفر ينتويه وغيره من عرفاء العيارين كدمحال وأبي عصارة وأبي نملة ودونل، (الطبري، ١٩٠٨) أحرزت كتائب العياريين انتصارات متلاحقة عبر شنها هجمات خاطفة على الصفوف المتقدمة لجند سامراء. (ابن الاثير، ٢٠٠٤)

حاول الأمير محمد الطاهري استغلال أي فرصة تتيح له النجاح في مهمته الدفاعية الموكلة له، فيذكر انه في اثناء سير المعارك بينه وبين جند ابي احمد الموفق صادف ان قدم مجاميع غفيرة من أهالي خراسان عربيها وعجمها الى بغداد، فعرض عليهم الأمير الطاهري المشاركة معه في صد الهجمات المتلاحقة التي كان يشنها الاتراك على بغداد، فلبى الخرسانيين الدعوة واخذوا يتسارعوا للالتحاق بالقوات المدافعة كناية بالجند الاتراك. (ابن كثير، ٢٠٠٤)

وكان ما يميز القطعات العسكرية المدافعة من أهالي بغداد هو الرغبة الصادقة لديهم وخصوصا العناصر العربية والخرسانية بالحد من النفوذ التركي في سامراء، واحياء الدور الريادي لهم كعناصر فعالة في اعتلاء المناصب القيادية في دولة بني العباس، وكما كانوا عليه في عهود الحكام الأوائل قبل تسلط العنصر التركي، (الخطيب البغدادي، ٢٠٠٤)

هذه الروح الحماسية اعانت الأمير الطاهري كثيرا على حالة النقص الكبير في قواته المدافعة، وجعلته يصمد طويلا في ميدان القتال بأريحية واضحة مكنته من صد الهجمات المتلاحقة التي شنتها القوات المهاجمة، كما واتاحت له المناورة بهذه الكتائب القتالية على قلت رجالها وتوجيه ضربات موجعة في صفوف قوات ابي احمد الموفق، (مرعي، ٢٠٢٠)

اثبت الأمير محمد الطاهري نجاحا منقطع النضير في ادارته لملف العمليات القتالية خلال الاشهر الأولى للحرب، فقد تمكنت قواته من صد الهجمات المتلاحقة لقوات ابي احمد الموفق، لكن فيما بعد تغيرت معادلة الحرب بين الطرفين، فكان التفوق للطرف المهاجم

واضحا خصوصا بعد ان خسر الأمير الطاهري مدينة الانبار مما أدى الى تقهقر قواته الى داخل بغداد واكتفائها بتحصين اسوار المدينة ومداخلها بعد ان احكمت قوات الموفق المهاجمة الحصار عليها. (ابن الاثير، ٢٠٠٤؛ الدوري ع.، دراسات في العصور العباسية المتاخرة، ٢٠٠٧)

في المرحلة الأولى أخفقت اغلب الحملات الحربية التي وجهتها القيادات العسكرية في سامراء بسبب الإدارة القوية التي مارسها الأمير محمد الطاهري، حيث افشل عدت محاولات قامت بها القوة المهاجمة على بغداد، ومنها سير قائد قوات سامراء ابي احمد الموفق قوة قتالية كبيرة من الاتراك لاختراق سور بغداد من جانبها الغربي، الا ان قوات الأمير الطاهري اعدت للقوة المهاجمة كمينا اوقعتهم فيه، واقطعوا خطوط الامداد عنهم ثم كروا عليهم ضربا وقتلا، فتكبدت قوات الموفق خسائر كبير فقتل الفان من الترك واسر منهم الكثير وفرت القلة الناجية بأعجوبة. (الخطيب البغدادي، ٢٠٠٤)

وفي ذات السياق فقد عملت كتائب الغيارين خرقا واضحا في صفوف القوات النظامية المهاجمة التي سيرها الموفق من جهة باب الشماسية لاختراقه، فقد كانت القوة المهاجمة متسلحة بأسلحة ثقيلة من العرادات والسلالم والكليب ونصبوا المنجنيقات لتدك الاسوار، لكن المفاجئة كانت حاضرة حيث باغتت عناصر العيارين بأسلحتهم المتواضعة تلك القوات المهاجمة وتمكنوا من التغلغل بين صفوف العدو المتراصة مما أحدث حالة من الارباك والفوضى التي افشلت مهمة اختراق السور، (السوداني، ١٩٧٩) وعملية تجنيد العيارين وتسليحهم وتكليفهم بالقيام بمهام قتالية خاطفة وسريعة في ميدان القتال هو راجع الى تدابير الأمير محمد الطاهري، وقد سبق الإشارة اليه. فقد تمكنت كتائب العيارين من احداث مقتلة كبيرة في صفوف القوات المهاجمة في احدى المنازلاة الواقعة بين الطرفين فقد وصل عدد المقتولين على يد العيارين الى خمسة الاف مقتول. (سعد، ١٩٧١)

وهناك صورة أخرى تعكس مقدرة الأمير محمد الطاهري على صدر هجمات قوات الأمير ابي احمد الموفق، حيث سير الأخير حملة عسكرية كبيرة لمهاجمة الجانبان الغربي والشرقي لمدينة بغداد في وقت واحد، في البداية كان التفوق للقطعات المهاجمة حيث تمكنت من كشف القوة المدافعة عن الجانب الغربي وفتح المجال امام بقية القطعات للدخول الى

وسط بغداد، الا ان حنكة الأمير الطاهري العسكرية وسرعة بديهيته افشل مشروع الاستباحة، حيث امر بحملة عدد كبير نت القوات القتالة المدافعة على ظهر السفن الصغيرة ومهاجمة القوات المندفعة نحو المدينة من الخلف ومن الجانبين لعرقلت تقدمها ثم اختراقها من الوسط والقضاء عليها، وهذا ما حدث بالفعل فقد نحج الأمير الطاهري مرتا أخرى في منع اختراق اسوار بغداد. (ابن كثير، ٢٠٠٤)

وفي احدى المواجهات الحربية بين الطرفين خلال هذه المرحلة المتقدمة، حيث سير ابي احمد الموفق قوة قتالية من الاتراك لمهاجمة بغداد من جهة منطقة عكبرا، خرجت من بغداد قوة لصد تقدم الاتراك، الا انهم وقعوا في كمين أعدته القوة المهاجمة مسبقا، عندها تدابر امر الهزيمة الأمير الطاهري بأن سير قوة قتالة أخرى لنجدة القوة التي وقعت في كمين الاتراك، فما انتهت المواجهة حتى اقعوا مقتلة عظيمة بين الاتراك وحرروا إخوانهم من الكمين. (ابن الاثير، ٢٠٠٤)

في هذه المرحلة الثانية من حرب المعتز والمستعين اخذت العمليات القتالية تأخذ منحا اخر، فقد ادرك ابي احمد الموفق صعوبة اختراق تحصينات بغداد، نتيجة ضراوة القوة المدافعة عنها من جهة ومن جهة أخرى الإدارة الناجحة التي اتبعها الأمير محمد بن عبد الله الطاهري الذي افشل بحنكته جميع المحاولات التي سيرها الأمير ابي احمد الموفق لاقتحام اسوار بغداد، بل حتى محاولة عزل أهالي بغداد عن الاتصال بالأقاليم المجاورة وقطع الامدادات من ميرة وغيرها من المواد الغذائية قد بائت بالفشل أيضا، فالإرادة الحكيمة للأمير الطاهري وعزيمة أهالي بغداد كانت حاجزا منع تحقيق الانتصار على المستعين. (مرعي، ٢٠٢٠)

لذا فكر المعتز بالله بخطة بديلة علّها تحقق النصر لهم، فكانت الخطة تقتضي بذل الجهود الحثيثة للسيطرة على مدينة الانبار، فعزم المعتز الى تسير حملة عسكرية كبيرة من الاتراك لمهاجمة مدينة الانبار بعد ان امر عليهم ابي نصر بن بغا. (ابن كثير، ٢٠٠٤) وقد سبق هذه الحملة قيام الأمير محمد الطاهري بتعزيز الدفاعات عن المدينة عبر جملة إجراءات احترازية قام بها الأمير الطاهري واهمها اغراق الأراضي المحيطة بمدينة الانبار بمياه نهر الفرات، وقد تم الإشارة الى ذلك فيما تقدم، كما اردف الأمير الطاهري إجراءاته

الأمنية بأرساله قوة قتالية من أهالي بغداد وجلع عليهم نجوبه بن ابي سعيد احد القيادات البارزة على الصعيد العسكري، (المسعودي ع.، ١٩٧٣) واوصاه الأمير الطاهري بتوجيه الدعوة لأهالي مدينة الانبار للانضمام الى رجال قوته القادمة معه من بغداد، وللمشاركة في صد أي تعرض عسكري تقوم به قوات المعتز. (الطبري، ١٩٠٨)

ولما وصل ابي نصر وقواته الزاحفة نحو مدينة الانبار، عجز بن نجوبه عن التصدي للقوة المهاجمة، مما اضطره الى ترك المعركة متجها نحو بغداد بعد ان قطع حبار الجسر المؤدي الى الجانب الغربي لمدينة الانبار/، تاركا خلفه العديد من قواته المدافعة تقع فريسة سهلة الصيد لقوات ابي نصر المهاجمة. (ابن الاثير، ٢٠٠٤) وفي حركة استدراكية قام بها الأمير محمد الطاهري لتلافي سقوط مدينة الانبار بيد قوات المعتز، أرسل حملة عسكرية من أهالي بغداد بقيادة الحسين بن إسماعيل، رافق عملية اعداد هذه الحملة العسكرية وتسمية قائدها مراسيم خاصة عكست إصرار الأمير محمد بن الله الطاهري على عدم التساهل في مسالة فقدان مدينة الانبار ودخولها تحت سلطة سامراء، حيث كان دور الأمير الطاهري واضح في ابراز اهتمامه الكبير بهذه الحملة العسكرية، من خلال ان الأمير طلب من كبار بني هاشم المتواجدين في مدينة بغداد بالخروج لتشيع جند هذه الحملة وقائدها، بالإضافة الى تواجد الرموز البارزة من القيادات والوجهاء في المدينة، (ابن كثير، ٢٠٠٤) كما اوعز الأمير الطاهري بإغداف الاموال على الجند ومنحهم ارزاق لأربعة شهور مقدما، فظلا عن الامدادات المتلاحقة التي قام الأمير الطاهري برفد حملة الحسين بن إسماعيل المتوجهة نحو الانبار. (الدوري ع.، ١٩٨٨)

وبعيدا عن الخوض في مجريات المواجهة القتالية المباشرة الدائرة بين حملة الحسين بن إسماعيل وبين القوة الماسكة لمدينة الانبار، يمكن ملاحظة اخفاق القائد الحسين في إدارة ملف المعركة وبشكلٍ جلي، حيث انفراد الاخير برأيه دون الالتفات الى ما اشارت به عليه بعض القيادات العسكرية المرافقة له في الحملة، (اليعقوبي، ١٩٨٦) فعلى الرغم من حجم التحضيرات التي هيأها الأمير محمد الطاهري اللازمة لإنجاح هذه الحملة العسكرية من حيث العدة والعدد، الا انها فشلت فشلا ذريعا في تحقيق النصر على العدو وفقدت معه الامل في استعادت مدينة الانبار من جند المعتز، ولعل السبب في ذلك يعود الى عدم

توفيق الأمير الطاهري في اختياره للحسين بن إسماعيل قائدا عاما للحملة العسكرية، (مرعي، ٢٠٢٠) حيث كان تقصير القائد حسين بن إسماعيل عن أداء واجباته واضحا في الحملة الأولى حينما رفض العمل بمشورة القيادات الأخرى، (ابن كثير، ٢٠٠٤) وأيضا في الحملة الثانية حينما خسر المعركة بعد ان استهان بقدرات القادة الاتراك القتالية وبراعتهم في اتباع أساليب التضليل والخداع في ميدان المواجهة، فقد وقع معظم جند الحسين في مكيدة الكمائن مما أدى الى ضعفهم وتشتت وحدة صفوفهم، (الطبري، ١٩٠٨) وهذا ما يؤكد على عدم مقدرة القائد بن إسماعيل في تقدير أوضاع العدو وفهم مفاجأته.

تركت هذه الهزيمة اثرا بالغا في القوة المدافعة عن المستعين بالله، فعلى الجانب العسكري كانت اعداد جند القطعات المرافقة لحملة الحسين بن إسماعيل كثيرة جدا، وقسما كبيرا منها قد وقع بين قتيل او اسير تحت وطأة قوات نجوبه، (الطبري، ١٩٠٨) فقد خسر الأمير الطاهري اغلب هذه القطعات بعد هزيمة الحسين بن إسماعيل، مما اضعف في القوة المدافعة وجعل الأمير يصرف النظر عن ارسال القوات للمناورة خارج اسوار مدينة بغداد، وحرص على ابقائها متمركزة في الداخل تقوم على حماية اسوار المدينة وفي الدهاليز المؤدية الى ابوابها المتعددة، (ابن الاثير، ٢٠٠٤؛ الدوري ع.، ٢٠٠٧) حالت التقهقر والتراجع التي ظهرت على قطعات الأمير الطاهري شجعت القوات المهاجمة على خوض عدة حملات كان اغلبها تنتهي لصالح الاتراك. (الدوري ع.، ٢٠٠٧) اما على صعيد الجانب المعنوي فغدة أحوال الرعية من أهالي بغداد في غاية الصعوبة حيث اشتدت ضراوة الحصار المفروض عليهم، خصوصا بعد انتهاء امر مدينة الانبار لصالح حاكم سامراء وتقدم قواته لمحاصرة بغداد، (الدوري ع.، ٢٠٠٧)

في هذه المرحلة المتأخرة من عمر الحرب الدائرة بين المستعين والمعتز، وبعد سقوط مدينة الانبار بيد قوات الأخير، وما خلفته هذه الحادثة من حالة ضعف بدا واضحا على معنويات القوات المدافعة عن مدينة بغداد، فظلا عن تردي الأحوال المعيشية للأهالي القابعين داخل المدينة خلف الاسوار المحاطة بعشرات الألوف من القوات المحاصرة لهم. (الخطيب البغدادي، ٢٠٠٤) هذه الامر جعل من الأمير محمد بن عبد الله الطاهري يجري تغيرا في خططه للأيام القادمة وطريقة ادارة ملف الحرب مع المعتز، خصوصا بعد حدوث

حالات اختراق متكررة لأبواب السور ومن اكثر من جهة، ففي احدى الغارات تمكن الاتراك من كشف القوة المدافعة عن أبواب الجانب الغربي وازاحتهم عن طريقهم للمرور الى داخل المدينة ورفع راياتهم على بعض الحوانيت المنتشرة في الجانب الغربي، احدث هذا الخرق تهديدا مباشرا لأمن الأهالي القاطنين في هذه الجهة من المدينة، مما دفع الأمير محمد الطاهري الى استدراك الامر ورفع صوته معلنا حالة النفير العام، فتجمعت حوله خيرة الرجال من الأهالي يقدمهم كبار القادة، ليتقدموا بأقصى سرعة ممكن لصد تقدم الاتراك من هذه الناحية، وبعد ساعات من المواجهات الدامية قتل فيها العديد من جند الترك تمكن الأمير الطاهري من اخراج كتائب الاتراك من المدينة ودفعهم خلف الأبواب، (ابن خلدون، ٢٠٠٣) ثم اصدر توجيهاته الأمير الطاهري ببناء فتحات الأبواب بالحجارة والجص وغلقها نهائيا امام القوة المهاجمة. (بيطار، ١٩٩٢)

وحالة الاختراق التي حدثت في الجانب الغربي ودخول الاتراك الى حوانيت المدنية، تجدها قد تكررت في جهات أخرى، فقد تمكنت قوة من الاتراك من دخول المدينة عبر قيامهم بأحداث فتحات صغيرة في جدران السور لمرور بعض عناصرهم الى الداخل لتفتح الأبواب امام بقية القوة المهاجمة للدخول، بعد معالجة القوة المتواجد لحماية مداخل الأبواب، تلك القوة التي انهكتها احداث الحرب وضراوة الحصار. (ابن كثير، ٢٠٠٤) وهذا ما حدث بالفعل في عملية اختراق الترك لسور المدينة من جهة باب الشماسية والشرقية. (السوداني، ١٩٧٩)

ومع كل هذه المتغيرات التي تشير الى رجحان كفة قوة الاتراك، سعى الأمير محمد الطاهري الى اعادت تنظيم قواته المدافعة، وتعبئتهم بطرقة جيدة استعدادا لخوض مواجهات جديدة، عبر رفع معنويات رجال المؤسسة العسكرية في بغداد، واحداث نوع من حالة التوازن في القدرات القتالية مع الاتراك، فقد استدعى كبار القادة الى اجتماع موسع لرفع منسوب التضحية لديهم، فلم يجد فيهم الا الثبات على عهدهم الأول مع المستعين، ثم اخذ يحثهم على تشجيع الجند لمواصلة التصدي للقوات المهاجمة، كما قراء عليهم كتاب حاكم بغداد المستعين بالله، حيث جاء فيه: (... يا معشر القواد لئن قاتلت عن نفسي وسلطاني ما اقاتل الا عن دولتكم وعامتكم وان يرد الله اليكم اموركم قبل مجيء الاتراك واشباههم فقد يجب

عليكم المناصحة والجهد في قتال هؤلاء الفسقة ...). (الطبري، ١٩٠٨، صفحة ج٧، ص٣٢١)

وبالفعل فقد اثمرت مساعي الأمير الطاهري في محاولة إنعاش قطعاته العسكرية وشحن هممهم القتالية، فقد تولى الأمير بنفسه الاشراف على قيادة احدى الحملات التي انزل فيها بكتائب الاتراك المحاصرة لمدينة بغداد، هزيمة نكرا راح فيها عدد كبير من الترك. (اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ١٩٨٦) وعلى الرغم من نجاح الامير في تحقيق بعض الانتصارات المحدودة على العدو، الا ان المشهد العام لمجريات الحرب كان واضحا لدى الأمير الطاهري، فلم تكن تجري لصالح المستعين مطلقا، وانما هي كانت محسومة لحساب المعتز. (ابن الاثير، ٢٠٠٤)

ومما زاد في مهمة الأمير الطاهري صعوبة خروج قسم كبير من الأقاليم التي كانت مناصر للمستعين وثابة على بيعتها له في حربه مع المعتز، فالنتائج الأخير التي حققتها قوات الاتراك في جبهة الانبار والمناطق الغربية والشمالية، جعلت من أهالي الأقاليم الشرقية والجنوبية تحت وطأة انهيار دفاعاتها العسكرية، القيام بتحويل ولائها نحو سامراء بدلا من بغداد. فقد خرجت مدينة الكوفة من تحت ولاية المستعين في شهر رمضان من سنة احدى وخمسون للهجرة، ودخلت في بيعة حاكم سامراء المعتز بعد فشل الحامية العسكرية الموكلة بالدفاع عنها. (المسعودي ع.، ١٩٧٣) كما سقطت مديني واسط والمدائن بيد الاتراك بعد ان فشلت القوات المدافعة عن صد الهجمات المتكررة التي سيرها الأمير ابي احمد الموفق، (اليعقوبي، ١٩٨٦) شكلت الهزائم الأخيرة عامل مؤثر في توجهات الأمير محمد بن عبد الله الطاهري، فالأمر الخطير لم يكن في خروج هذه الأقاليم عن طاعة المستعين فحسب، بل كان الامر يتعلق بأهميتها الجغرافية، فقد شكلت هذه الأقاليم حزام يحيط بمدينة بغداد من جميع الجهات، كما ان هذه الأقاليم كانت مصدرا أساسيا يغذي أهالي بغداد بالمؤمن والمنتوجات الزراعية التي يحتاجها الأهالي، فظل عن انها كانت تمثل لمدينة بغداد الرئة التي تتنفس من خلالها، فهي حلقة الوصل بين بغداد وبقية الأقاليم البعيدة وخصوصا الشرقية منها كخراسان وفارس وما تلاها من أقاليم كانت موالية ومناصرة للبيت العباسي منذ بدايات دعواهم للثورة على الحكم الاموي، (بيطار، ١٩٩٢) فخروج هذه الأقاليم عن تقديم

الخدمات والدعم لأهالي مدينة بغداد وتحولها الى جانب العدو في سامراء، وخصوصا في هذا الوقت الحرج الذي يمر على الأهالي وهم يقبعون يحت وطأة حصار جائر لا يرحم احد، كان له الأثر البارز والمؤثر في قرارات الأمير محمد الطاهري صاحب المهمة الدفاعية عن المستعين. (الدوري ع.، ١٩٨٨)

ادرك الأمير محمد بن عبدالله الطاهري خطورة نتائج استمرار الحصار الذي تفرضه قوات المعتز على الحياة العامة لأهالي بغداد بالدرجة الاولى، فمن المعلوم ان ليس كل الرعية هم ميسوري الحال، فهناك القسم الأكبر منهم مَن هو يعيش حالة متوسطة ان لم يكن من اهل الكفاف، وكيف لهذه الطبقات تحمل أعباء الحصار وقد بلغت أسعار المواد الغذائية ذروتها، فقد اصبح مكيال القمح بمئة درهم، (سعد، ١٩٧١) وهو مبلغ يتعذر على الكثير من الأهالي امتلاكه، واما القلة المتنفذة من أصحاب رؤوس الأموال وذوي المناصب الرفيعة فهم يشكلون القسم الأقل بين الاهالي، وهذا هو حال المجتمعات البشرية في كل المدن الأخرى. لذا تجد المعتز كان مصمما على كسب المعارك في المناطق المحيطة ببغداد ومن ثم التفرغ لأحكام الحصار عليها، كي يجبر الأهالي على التخلي عن نصرة المستعين، والضغط على الأمير محمد الطاهري للانصراف عن مواصلة الحرب، والذهاب لمكاتبته والدخول في البيعة بعد خلع المستعين. (ابن كثير، ٢٠٠٤)

كما ان الأمير محمد الطاهري هو ليس ببعيد عما كان يحدث في البلاط العباسي فهو من اسرة كانت قريبة من صاحب القرار السياسي، بل كان اجداده محل ثقة واعتماد لبعض حكام بني العباس، (اليعقوبي، ١٩٨٦) حتى هو استقدمه المتوكل العباسي من خراسان وقلده قيادة شرطة بغداد ليقوم بضبط الامن الداخلي فيها، (السيوطي، ١٩٥٢) لذا فلامير الطاهري ليس لديه فرق كبير بين اقطاب الحرب، فالمستعين والمعتز كلاهما سيان في نظره، هذا الامر جعله يرى من باب الأولى السعي لفك الحصار عن أهالي بغداد وانقاذهم من نتائجه الوخيمة بالدرجة الأولى، وما يؤكد ذلك هو انه بمجرد ان اشعر الأمير محمد الطاهري برغبته بفتح باب التفاوض اسرع الأمير ابي احمد الموفق الى إعطاء التوجيهات الى جنده بالرسال قوافل محملة بالأمتعة والمؤن الغذائية الاحتياجات الضرورية الاخرى الى أهالي مدينة بغداد المحاصرة. (ابن عبد ربه الاندلسي، ١٩٦٥) وهي بحد ذاتها

تعد بادرة خير من قبل الأمير الموفق واخيه المعتز تجاه أهالي بغداد، كما انها شجعت الأمير محمد الطاهري على الاقدام نحو التفاوض. (مرعي، ٢٠٢٠)

اضف الى ذلك ان الأمير الطاهري كان يأنس براي المقربين والمخلصين له، وكان البعض منهم لعله يشاطر وجهة نظر الأمير الطاهري تجاه ان لا فرق بين المستعين او المعتز فكلاهما يسعى من اجل التشبث بالمُلك وان كان في ذلك الحاق الأذى بالرعية او ازهاق الارواح، فلا ضير في ذلك المهم هو كرسي الحكم، ومن ابرز أولئك القائدة المستشارين الذين ربما كان لرايهم اثرا في قرارات الأمير محمد الطاهري، هو القائد عبيد الله بن يحيى بن خاقان، حيث قال للأمير: (ان هذا الذي تنصره – المستعين بالله – وتجد في امره من اشد الناس نفاقا واخبثهم دينا والله لقد امر وصيف وبغا بقتلك ...). (السيوطي، ١٩٥٢) وبالطبع كان هذا الكلام ينسجم مع أدراك الأمير ووجهة نظره عن حكام بني العباس.

فضلا عن حالة الفوضى والتذمر التي سادت بين مختلف الطبقات المجتمعية في مدينة بغداد، فقد خرجت مجاميع من بني هاشم تطالب بأنصافهم ماليا اسوتا بغيرهم من الشخصيات القريبة من المستعين، ثم عكفوا على الأمير محمد الطاهري وانهالوا عليه بالتوبيخ والكلمات القبيحة واتهموا طريقته في دارة شؤون الرعية، ونعتوه بالتقصير في أداء واجباته وعدم الانصاف في توزيع المؤن والمواد الغذائية بين الرعية على حدٍ سواء. (الدوري ع.، ١٩٨٨)

ولم تختصر دائرة التذمر والفوضى على بني هاشم بل شملت طبقات أخرى من أهالي بغداد، فقد تسبب الحصار بانتشار المجاعة وعسر المعيشة بين الأهالي بشكلٍ كبير، وهذا أدى الى تفشي ظاهرت الانفلات الأمني في استفحال احياء المدينة، حيث قامت مجاميع من الشطار والرعاع والعيارين يحملون العصي والبواري المُقيرة والسكاكين بأثارة اعمال الشغب في ازقة المدينة بغية تحريك السواد الأعظم من العامة المتضررة نتيجة الحصار الجائر، وبالفعال فقد سادت مظاهر التمرد على السلطة وانتشرت حالات التعدي على ممتلكات التجار ونهب مخازن المؤن الكبيرة وحوانيت المواد الغذائية الصغيرة. (ابن الاثير، ٢٠٠٤)

جملة الاحداث العسكرية والاجتماعية والاقتصادية التي سادة في مدينة بغداد نتيجة استمرار مدة الحرب، كانت مدعاة للأمير محمد بن عبد الله الطاهري ان يقوم باتخاذ تدابير من شأنها حسم امر الحرب ووضع حد لنهايتها، فقرر الأمير الطاهري ان يكتب الى حاكم سامراء المعتز طالبا منه إيقاف العمليات القتالية، فرحب الأخير بقرار استسلام الأمير الطاهري واوعز الى أخيه ابي احمد الموفق ان يدخل مع الأمير الطاهري بمفاوضات تؤدي الى انهاء مرحلة الحرب ورفع الحصار عن أهالي بغداد. (الطبري، ١٩٠٨)

والرغم من ان الأمير محمد الطاهري كان يمثل الجانب الأضعف في مرحلة المفاوضات، كونه الجهة التي اعلنت الاستسلام للطرف الاخر وطلب إيقاف الحرب، الا ان الأمير الطاهري تمكن من فرض بعض شروطه التي من شائنها المحافظة على سابق منزلته الرفيعة بين رجالات الدولة العباسية، وبقية القادة الذين كانوا الى جانبه في إدارة ملف الحرب كوصيف وبغاء، بالإضافة الى ان الأمير الطاهري حرص على ان لا تتعرض قوات ابي احمد الموفق بالأذى لأهالي بغداد فظلا عن تقديم المساعدات السريعة لهم واسعافهم مما كانوا يعانون منه جراء الحصار الجائر، (مرعي، ٢٠٢٠) اما فيما يتعلق بالمستعين ومصير سلطانه، فقد تمكن الأمير الطاهري من اقناع الوفد المفاوض على حفظ حياته واهل بيته، وضمان اقامتهم بما يليق بهم، وكذلك تأمين أسباب العيش الكريم لهم، حيث اقرت بنود الاتفاق على ان يسمح للمستعين الاستقرار في المدينة المنورة وتخصيص مبلغ خمسون الف درهم واقطاعات مالية أخرى تقدر بثلاثين الف درهم، بشرط ان يقوم المسعين بخلع نفسه ويرسل شارات الحكم الى المعتز. (ابن كثير، ٢٠٠٤)

وحقيقة الامر ان الأمير الطاهري كان على اطلع بمبتغى المعتز واخيه ابي احمد الموفق من هذه المفاوضات، فقد كانا على استعداد بقول شروط ابن طاهر مقابل تخلي الأخير عن نصرة المستعين بالله واقناعه بعدم جدوى مواصلة الحرب، ولا بد من الموافقة على التنازل عن السلطة لصالح المعتز، (فوزي، الخلافة في عصر الفوضى العسكرية ، ١٩٧٣) وهذا ما حدث بالفعل فقد تحايل ابن طاهر على المستعين بالترغيب تارة وبالترهيب تارةً أخرى الى ان تمكن من إقناعه مضطرا الى خلع نفسه عن الحكم وإقرار بيعة المعتز. (الطبري، ١٩٠٨) عندها اصبحت لزاما على الحاكم الجديد – المعتز – الإيفاء بمقررات

بنود الاتفاق المبرم مع ابن طاهر، فقد منح الأخير ثلثي واردات مدينة بغداد واقر على امارتها، وأيضا تم تكريم القائدين وصيف وبغا بمنحهما امارة بعض المناطق وفقا لرغباتهما. (ابن الاثير، ٢٠٠٤)

النتائج

- كشفت عملية التآمر التي أدت الى مقتل الخليفة المتوكل عن توغل نفوذ قادة الترك في مؤسسة الحكم العباسي، والخطر المؤدي الى تدخلهم في عزل وتنصيب مَن يرونه مناسبا لتحقيق مصالحهم الشخصية من أبناء الاسرة العباسية الحاكمة.
- تقاطع المصالح بين قادة الترك أدى الى انقسامهم الى جماعات متصارعة فيما بينها، فكثر شغب الجند واضطرب أحوال في العاصمة سامراء، مما دفع الخليفة المستعين بالله الى تركها متجها نحو مدينة بغداد الأكثر نقمة على الوجود التركي.
- كانت المهمة الأساس للأمير محمد بن عبد الله الطاهري هي اعداد خطط دفاعية تحول دون إعطاء الفرصة للقوات المهاجمة من اختراق اسوار بغداد.
- لم تكن مشاهد التفاني والتضحية التي بذلتها أهالي بغداد – بما فيهم الأمير محمد الطاهري – خالصة في سبيل الدفاع عن احقية المستعين بالله في الحكم، بل كانت انعكاسا عن حقيقة مشاعرهم في ضرب قوة القادة الاتراك في سامراء وانهاء دورهم الفعال في البلاط العباسي.
- اثبت الأمير الطاهري مقدرة كبيرة جدا في إدارة مراحل حرب المستعين والمعتز، فكان العقل المدبر لتهيئة العامة من أهالي بغداد، وجميع العناصر المقاتلة الأخرى، حتى الوفود الخرسانية القادمة الى بغداد، من اعدادها وتعبئتها بالشكل المناسب لخوض غمار المواجهات العسكرية.
- وكما نجح الأمير الطاهري في مرحلة التعبئة العسكرية والصمود امام هجمات العدو المتلاحقة، تجده نجح الى درجة كبيرة في تسير أمور العامة في مرحلة الحصار الجائر الذي فرضته قوات الاتراك.

- عندما أدرك الأمير محمد الطاهري خطورة الوضع الداخلي في مدينة بغداد، وان لا جدوى من استمرار الحرب، اشعر الطرف الاخر بقبوله بأجراء مفاوضات الصلح.
- كان تأثير الأمير الطاهري واضحة في بنود الصلح، اذ عرف الامير كيف يدير جلسة المفاوضات مع الموفق بطريقة تحفظ له مستقبل مكانته الإدارية وامتيازات الاسرة الطاهرية في الدولة العباسية.
- لم يُعر الأمير الطاهري اهتماما كثيرا للجهة التي يدخل في بيعتها من بني العباس، بقدر اهتمامه بمصلحته الخاصة أولا وأخيرا، فالمستعين والمعتز كلاهما سيان في حسابات الأمير الطاهري.

المصادر الأولية:

- المسعودي ، ابو الحسن علي بن الحسين بن علي. (١٩٧٩). *التنبيه والاشراف* (المجلد ٢). بيروت: دار المسيرة.
- ابن عبد ربه الاندلسي ، ابو عمر احمد بن محمد. (١٩٦٥). *العقد الفريد* (المجلد ٣). (احمد امين واخرون، المحرر) القاهرة: مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر.
- الماوردي ، ابي الحسن علي بن محمد بن حبيب. (١٩٨٢). *نصيحة الملوك*. (خضر محمد خضر، المحرر) الكويت: مكتبة فلاح.
- الجهشياري ، إبي عبدالله محمد بن عبدوس. (١٩٨٦). *الوزراء والكتاب* (المجلد ١). (مصطفى السقا واخرون، المحرر) القاهرة: مطبعة مصطفى الباني الحلبي.
- ابن مسكوية احمد بم محمد. (٢٠٠٣). *تجارب الامم وتعاقب الهمم* (المجلد ١). (سيد كسروي حسن، المحرر) بيروت: دار الكتب العلمية.
- اليعقوبي ، احمد بن ابي يعقوب بن واضح. (١٩٨٦). *تاريخ اليعقوبي*. بيروت: دار صادر.
- البغدادي ، احمد بن علي الخطيب. (٢٠٠٤). *تاريخ بغداد* (المجلد ٢). (مصطفى عطا، المحرر) بيروت: دار الكتب العلمية.
- القلقشندي ، احمد بن علي. (١٩٨٥). *ماثر الاناقة في معالم الخلافة* (المجلد ٢). (عبد الستار احمد فراج، المحرر) الكويت: مكبعة الكويت.
- ابن كثير ، اسماعيل بن عمر. (٢٠٠٤). *البداية والنهاية* (المجلد ١). (حسان عبد الله المنان، المحرر) ، الاردن: بيت الافكار الدولة.
- الكليني. (١٣٦٢). *الكافي* (المجلد ٤). (علي اكبر الغفاري، و محمد الاخوندي، المحررون) طهران، : دار الكتب الاسلامية.
- المسعودي ، ابو الحسن علي بن الحسين. (١٩٧٣). *مروج الذهب ومعادن الجوهر* (المجلد ٥). (محمد محي الدين عبد الحميد، المحرر) بيروت: دار الفكر.
- السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر. (١٩٥٢). *تاريخ الخلفاء* (المجلد ١). (محمد محي الدين، المحرر) القاهرة: مطبعة السعادة.

- الصفدي ، خليل بن ابيك. (٢٠٠٠). *الوافي بالوفيات* (المجلد ١). (احمد الارنأوط واخرون، المحرر) بيروت: دار احياء التراث العربي.
- الذهبي ، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان. (١٩٨٤). *دول الاسلام* (المجلد ٢). (محمود الارنأوط واخرون، المحرر) بيروت: دار صادر.
- ابن خلدون ، عبد الرحمن. (٢٠٠٣). *العبر وديوان المبتدأ والخبر* (المجلد ٢). بيروت: دار الكتب العلمية.
- ابن تغريد ، عبد الرحمن بن علي. (١٩٩٢). *النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة* (المجلد ١). (محمد حسين، المحرر) القاهرة: دار الكتب العلمية.
- علي بن احين بن هبة الله ابن عساكر. (١٩٩٥). *تاريخ مدينة دمشق* (المجلد ٣). (علي شير، المحرر) دار الفكر، لبنان: بيروت.
- علي بن محمد الشيباني ابن الاثير. (٢٠٠٤). *الكامل في التاريخ* (المجلد ٤). (عمر عبد السلام تدمري، المحرر) بيروت، لبنان: دار الكتاب العربي.
- ابو الفداء ، سماعيل بن علي. (١٣٢٥). *المختصر في احبار البشر* (المجلد ١). القاهرة: المطبعة الحسينية.

ابن خلكان ، حمد بن احمد بن ابي بكر. (١٩٨٣). *وفيات الاعيان انباء ابناء الزمان* (المجلد ٢). (احسان عباس، المحرر) بيروت: دار صادر.

- الذهبي ، محمد بن احمد عثمان. (١٩٩١). *سير اعلام النبلاء* (المجلد ١). (عمر عبد السلام، المحرر) بيروت: دار الكتاب العربي.
- الطبري ، محمد بن جريد. (١٩٠٨). *تاريخ الرسل والملوك* (المجلد ١). القاهرة: المطبعة الحسينية.
- ابن العمراني ، محمد بن علي. (١٩٩٩). *الانباء في تاريخ الخلفاء* (المجلد ١). (قاسم السامرائي، المحرر) القاهرة: دار الافاق العربية.
- ابن الطقطقي ، محمد بن علي بن طباطبا العلوي. (١٩٦٢). *الفخري في الاداب السلطانية والدول الاسلامية*. القاهرة: مطبعة محمد علي واولاده.

- ابن النجار ، محمد بن محمود. (٢٠٠٤). *ذيل تاريخ بغداد* (المجلد ٢). (مصطفى عطا، المحرر) بيروت: دار الكتب العلمية.
- الكندي ، محمد بن يوسف. (١٩٩١). *كتاب الولاة وكتاب القضاة*. (رفن كست، المحرر) القاهرة: دار الكتاب الاسلامي.
- ياقوت الحموي، بن عبد الله. (١٩٩٥). *معجم البلدان* (المجلد ٢). بيروت: دار صادر.

المراجع الحديثة:

- شلبي ، احمد. (١٩٦٠). *التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية*.القاهرة: مطبعة لجنة التاليف.
- العبادي ، احمد مختار. (٢٠٠٣). *في التاريخ العباسي والفاطمي* (المجلد ١). بيروت: دار النهضة العربية.
- امينة بيطار. (١٩٩٢). *تاريخ العصر العباسي* (المجلد ٤). دمشق: جامعة دمشق
- فوزي ، فاروق عمر. (١٩٧٣). *الخلافة في عصر الفوضى العسكرية* . بغداد: مطبعة دار السلام.
- فوزي ، فاروق عمر. (٢٠٠٣). *الخلافة العباسية* (المجلد ١). عمان، : دار الشرق.
- سعد ، فهمي. (١٩٧١). *العامة في بغداد في القرنين الثالث والرابع للهجرة* (المجلد ١). بيروت: دار المنتخب.
- الخضري ، محمد. (٢٠٠٤). *محاضرات في تاريخ الامم الاسلامية، الدولة العباسية* (المجلد ٢). (محمد طنطاوي، المحرر) بيروت: دار الكتب العلمية.
- المناصيري، محمد عبد الحفيظ. (٢٠٠٠). *الجيش في العصر العباسي الاول* (المجلد ١). عمان: دار مجد لاوي.

- خلف، وائل حافظ. (١٩٨٥). *وصايا الاباء للابناء* (المجلد ١). الاسكندرية: دار ابن القيم بالاسكندرية.

البحوث العلمية المنشورة:

- مرعي ، سامي. (٢٠٢٠). الحرب الاهلية الثانية بين افراد الاسرة العباسية. *مجلة دراسات تاريخية*، صفحة ١٢٩.
- الدوري ، عبد العزيز. (٢٠٠٧). *دراسات في العصور العباسية المتاخرة* (المجلد ١). بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- فوزي ، فاروق عمر. (١٩٧٩). الجند الاموي والجيش العباسي، دراسة في تطور المؤسسة العسكرية في العصرين الاموي والعباسي. *مجلة المورد*، صفحة ١١.
- السوداني ، عبد الله عبد الرحيم. (١٩٧٩). اسوار بغداد. *ملجلة المورد*، صفحة ٢١.